دموع في الريف

دموع في الريف
رواية
رمضان سعيد
الإسكندرية : حسناء للنشر
الطبعة الأولى : ٢٠١٨
ISBN 978 -977-6535-80-0
رقم الإيداع : ١١٧٤٥/ ٢٠١٧
ديوى : ٨١٣
١٢٠ ص ، ٢٠ سم

{ جميع الحقوق محفوظة © }

الإسكندرية ، ج . م . ع
٠١٠١٨٨٣١٣٦١
٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧
المدير العام : عادل أبو الأنوار

المراجعة اللغوية : عادل أبو الأنوار
الإخراج الفنى : أمير مصطفى

دموع في الريف

رواية

رمضان سعيد

إهداء

إلى جميع بناتنا.

لهم كل الحب والتقدير...

تنويه

جميع ما يوجد بهذه الرواية من أسماء أو أحداث من وحي خيال المؤلف وأحيانا يكون الخيال به من الواقع في حياتنا، وهذا تصادف غير مقصود.

حينما تنظر من بعيد تجد الأرض الخضراء والأشجار الملونة الجميلة، والنخيل المثمر، والهواء النقي، إنها الحياة في الريف، هي جنة الله في الأرض، وتتمنى أن تعيش بها طوال العمر.

ولكن حينما تعيش وسط ساكني هذه الأرياف، تجد الفقر، والجهل، والظلم، والأمراض المنتشرة بسبب التلوث والإهمال، وقلة الرعاية الصحية.

فهناك قرى مازالت تعيش في تخلف أعمى على المعتقدات الوراثية القديمة عن طريق الدجل والسحر الموروثة من أجدادنا، في علاج من لديه مشاكل صحية.

وهناك قرى لا يوجد بها غير الدم البريء، السائل كمياه البحر، من مجرمين ليس لديهم دين، لا يفرق بين مسلم ومسيحي من أبناء الوطن.

- لقد زاد الإجرام بسبب البعد عن مبادئ الدين والقيم وجهل البشر، سواء ثأر بين العائلات أو سرقة بالكراهة اللصوص قطاع الطرق، ومشاجرات بين البعض ليس لها داع، وظلم من كبار القوم....

- ميرفت فتاة من قلب صعيد مصر، أبوها من أعيان القرية، يمتلك من الأراضي الكثير والكثير، اسمه معلوم للجميع الحاج شاكر عبدالله، وله ابن أكبر ببضع سنوات علاء الذي يعمل ضابطا للشرطة..

وفرحت الأم بولادتها، ولكن الأب اسودّ وجهه مثل غيره من أصحاب العقول المتحجرة حينما سمع خبر المولودة، فهو لا يحب إنجاب الإناث، وماتت الأم بعد فترة قصيرة من ولادة ميرفت.

حزن الأب على فقدان الزوجة المخلصة وأم أولاده، ولكنه انشغل بجمع المال والأرضي حتى أنه لم يتزوج مرة ثانية بعد رحيل زوجته.

- وميرفت الجميلة منذ صغرها، التي نشأت في حضن المربية التي قامت برعايتها وتربيتها حتى نضجت، ووصلت إلى سن العاشرة.

- المربية: يا حاج شاكر ياريت ترسل أحدًا إلى فاطمة الداية لتقوم بختان ميرفت لأنها كبرت وأصبحت عروسًا.

- الأب في غيظ: كبرت ميرفت بسرعة لأنها فتاة، لو كان ولدًا لكان مازال صغيرًا، هذه خلفة البنات، والآن تحتاج إلى ختان، سوف أرسل لهذه الداية.

- وصلت الداية، هي امرأة من أهل القرية تقوم بكل ما يقوم به الطبيب من ولادة للنساء أو ختان البنات والبنين، وأكثر من ذلك، ولكن بجهل دون تعليم، وكثير من أهل الريف يعتمدون على أمثالها.

وصلت هذه الداية إلى بيت الحاج شاكر.

- ودخلت على ميرفت بغرفتها تمسك بيدها شفرات موسى حادة، ومعها مجموعة من النسوة يمسكن بالطفلة من أطرافها كأنها بهيمة في السلخانة والفتاة تصرخ لا تعلم ماذا يريدون.

- وقمن بتجريدها من ملابسها وكشف عورتها وهن فرحات بذلك يضحكن ويتسامرن معًا، والفتاة تكاد أحبال صوتها تتقطع من العويل والبكاء وامتلأ جبينها عرقا.

أي أناس هؤلاء؟! كيف يفعلون هذا؟! لقد قامت هذه المجرمة بتشويه وإزالة غطاء البظر وحشفه، وكأنها تقطع في حيوان، لا رحمة ولا شفقة ولا إنسانية، دون علم.

- هل الفتاة تحتاج لختان؟؟

- هل وظيفة هذه الداية أو غيرها في فعل هذا الأمر؟

- هل تعلم هذه المجرمة أن الختان يسبب أضرارًا جسيمة في حياة هؤلاء النسوة؟؟

- هل الختان حرام شرعًا؟؟

وخرجت الزغاريد من هؤلاء النسوة تملأ منزل الحاج شاكر، وميرفت في عينيها الصغيرتين البريئتين حالة من البكاء والصرع والذهول من هذا الحادث الأليم.

وخرج هؤلاء النسوة متجهات إلى بيت آخر وآخر، فهذا موعدهم مع أهالي القرية لمن يريد الختان لأبنائه.

هذا آخر الشهر، باقٍ يومان على ظهور الهلال والكل متربصٌ خوفا على أبنائه من "المشاهرة"، أنا لا أعلم ما هي المشاهرة ولكن في الريف يعتقدون أن الفتاة يحدث لها هذه المشاهرة في نهاية الشهر الهجري إذا لم تختن في أواخر الشهر..

يقول فقهاء القوم الجهلة إنها تسبب أضرارًا جسيمة لنساء، منها تأخر الزواج، والإنجاب أو العقم والأمراض هذه معتقدات وهمية موروثة من زمن فات.

ولكن من يستطيع أن يزيلها من عقول أهالينا في الأرياف غير التعليم والوعي، ويظهر جيل من النساء والرجال يغيرون هذه الأفعال السيئة والقاسية على أبنائنا.

- لقد وصلت هذه الداية بيتا به طفلة أخرى، بسمة، أهلها من فقراء القوم، لا يستطيعون تعليمها، وسوف يختنون الطفلة لكي تتزوج.

كيف هذا؟! وهي صاحبة العشر سنوات أو أكثر بالقليل؟

- نعم هذا ما يحدث عند الكثير، إذا نضجت الفتاة تتحول الأنظار إليها، سائلين من يتزوج هذه الفتاة؟ ابن فلان أو غيره!

من يقول هل الفتاة ذات العشر سنوات أو الاثنتي عشرة أو الأربع عشرة وما بينها، كيف تتزوج وتنجب أطفالا وتكون لهم أمًا، وصاحبة بيت مسئولة عن زوج وأطفال وهي مازالت طفلة؟

ولكن هذا يحدث مرارًا وتكرارًا في الأرياف، وبسمة التي تم ختانها بكل وحشية كغيرها، حتى أنها فقدت الوعي لساعات من الوقت.

لقد تمت خطبتها لفترة ليست بالطويلة، العريس يعمل خارج البلاد.

وأهل الطفلة فرحون بهذا العريس الثري.

وبسمة لا تعلم شيئا، هي مسرورة مثلهم لا تدرك معنى الزواج والبيت والمسئولية، وحينما جاء ميعاد الزواج والفتاة مازالت لا تتعدى الثانية عشرة، دخل عليها هذا العريس ليلة الدخلة، وهي تجلس مجمدة بفستانها الأبيض الجميل، حائرة ترتعش أطرافها ولا تعلم ماذا سيحدث؟

وماذا تفعل؟ وحينما أقبل عليها هذا الزوج كالثور الهائج، فهو يكبرها بخمس عشرة سنة، وضمها لصدرة في ذهول منها، وغرس يديه بين خصرها الصغير وجردها من ملابسها، وقام بمعاشرتها جنسيًا عنوة.

وبسمة تصرخ وتتألم ولكن من يسمعها؟ الأهل، الأقارب، الجميع فرحون يجلسون بترقب ينتظرون فض غشاء البكارة، لقد تم ذبح هذه الطفلة، للمرة الثانية عندما رأت الدماء تسيل منها، فقدت الوعي.

لقد مارس هذا العريس الجاهل كل الطرق الجنسية غير الآدمية، وتحملت الطفلة المرارة والألم، وجلست بسمة في

بيت الزوج وحيدة تتحمل الشقاء والمعاناة، الزوج دائمًا مسافر يأتي في العام أيامًا معدودة.

- فتزوجها وتركها، وهي حامل في شهرها الثاني، تجلس مع أم زوجها ترعاها وتخدمها، وهي الفتاة التي تحتاج من يخدمها حتى جاء موعد الولادة.

- وصلت الداية الجاهلة، كالعادة، التي مارست الطب بالوراثة، والفتاة تصرخ، من ينقذها من العذاب والألم وطلق الولادة الصعب؟ من يقول لهذه المجرمة إنها تحتاج لطبيب؟

ولكن جهلها وتعندها تقول بغضب لمن حولها: الفتاة بكر أيها القوم، لا بد من التعب حتى إذا ذهبت إلى الطبيب ماذا يفعل معها، كأنها نصبت نفسها كبيرة الأطباء، تقول: الصبر، سوف تلد الآن.

كيف؟ لا أعلم، بدون مساعدات من الأدوية مثلا، أين حقن الطلق لكي تساعد الفتاة، وممكن تحتاج لعملية قيصرية، وصلت بسمة إلى مرحلة الخطر، لقد تحجرت عيناها وتقطعت أنفاسها، فنظرت الداية لمن حولها وعلمت أن الفتاة في مرحلة الموت..

- أخيرًا نطقت المجرمة وقالت إن الفتاة تحتاج إلى طبيب لأنها غير قادرة على الاستجابة معي في تحمل الولادة.

وألقت اللوم على الفتاة البائسة، وحينما ذهبت بسمة في أنفاسها الأخيرة إلى من ينقذها، ذهبت إلى وحدات القرى المجاورة جميعها مغلقة، لماذا لا أعلم؟

كان الوقت متأخرًا، ولكن هذه الوحدات حكومية ولم تغلق أبوابها في وجه أحدٍ من قبل، ولكن وجدت هذه المسكينة الأبواب مغلقة، أي إهمال بالبشر هذا.

كيف تغلق الوحدات الصحية التي ظلت سنوات في تلقي مثل هذا الحالات؟ أهو الإهمال الحكومي؟ أو حب المال الذي طمس على قلوب وبصر الأطباء، وانشغالهم بالأعمال الخاصة التي تجذب إليهم المال الوفير.

- وأخيرًا وصلت بعد معاناة إلى عيادة طبيب خاص، تفحص الطبيب الفتاة بعينيه بعد الاتفاق على أجره، ولكن الطبيب حينما رأى أن الفتاة في أنفاسها الأخيرة وحياتها تنتهي، لن يستطع أن يقدم شيئًا معها، غير أنه أرسلها إلى مستشفى حكومي في بندر المدينة حتى تتحمل مسئولية الفتاة.

ودخلت الفتاة غرفة العمليات، وتكاثر الأطباء حولها لنجدتها ولكن فات الأوان، لقد ماتت بسمة، ماتت بسبب جهل وتخلف وتعنت وإهمال الجميع.

وأثبت التقرير الطبي أن سبب الوفاة، ضيق في الرحم، هذه الفتاة مازالت طفلة لم تتعدّ الثانية عشرة من عمرها، وتحتاج لعملية قيصرية لكي تلد ولكنهم تأخروا، فتسبب في موت الجنين والأم معًا.

لا أحد في القرية لديه الشجاعة أن يقول توجد امرأة مجرمة تمارس جميع أنواع الدجل والخرافات والطب بالوراثة هي السبب، لاعتقادهم أنها أفضل من أطباء الجامعات.

- أهل القرية يذهبون إليها، يستشيرها الجميع في الحسد، المرض وفي مس الجان، من لديه مشكله جنسية يذهب إليها، تضع يدها على رأس الشخص وتقرأ لا تعلم ماذا تقول، وتعطي لهم أوراقًا وأعشابًا وغرائب، تقول اشرب هذا واغتسل بهذا وضع هذا تحت منامك.

هل مازلنا في عصر الجاهلية؟ نعم مازال هناك عقول تعيش في تخلف الماضي بسبب قلة الوعي والتعليم الذي أصبح سلعة تباع وتشترى، أين التعليم ومناهج التعليم السليمة؟

أين برامج التلفاز التي كانت جميعها تصب في وعي المواطن؟ لقد اختفى كل شيء جميل.

- وهناك نساء يذهبن إلى هذه السيدة التي تمارس الطب بطريقة لم يرها ولا يعلمها أحد غيرها، حتى "ابن سينا " لم يمر عليه هذه الخزعبلات من هذه السيدة.

من تأخرت في الإنجاب تذهب إليها، ومن تريد الزواج لفلذة كبدها، ميعاد الزواج فات الفتاة في سن الرابعة أو الخامسة عشرة، يعتقدون أن سن الزواج قد فات وهذا كثير، وتأتي بالعريس أو عروس لمن أراد، كلامها مصدق لدى الجميع.

ومن النساء من قلن إنهم تسرعوا حينما ذهبوا إلى الطبيب، ولو صبروا على هذه الداية لكانت بسمة هذه الطفلة التي قتلت بسبب جهل الآخرين مازالت على قيد الحياة هي وطفلها..

- أما ميرفت زهرة الوادي وردة البساتين، التي نضجت وأصبحت أميرة الأميرات من جمالها الساحر، وتفوقت في التعليم حتى التحقت بكلية التربية جامعة أسيوط.

ولكن دائمًا حادث الختان يتواجد في ذاكرتها، فكانت قليلة الكلام مع الآخرين، بعينيها الساحرتين حزن وألم كغيرها من فتيات القرية، بسبب ما يحدث لهن من تشويه أعضائهن.

القرية البائسة وأهلها الفقراء ومنهم الأستاذ خالد بن حامد الفقير، هم من سكان القرية وزوجته العجوز، ولكنه رجل عفيف النفس.

يمتلك قطعة أرض صغيرة يعيش في كنفها وخيرها مع أسرته الصغيرة.

- وخالد الابن البار بوالديه والمتفوق في التعليم دائمًا، وكان يكبر ميرفت بالقليل من السنوات.

ويحلم كغيره من شباب أهل القرية، الغني بها والفقير أن تكون ميرفت زوجته، حلم حياة الجميع، الفتاة ذات جمال لا مثيل له، وهذا الحب الشديد يوجد في أحلام خالد وفي وجدانه يسري في شرايينه، يحبها في صمت، وهي تكبر أمام عينيه كل يوم.

وكان يترقبها عن بعد، حتى يراها وهي ذاهبة إلى المدرسة التي كانت قريبة من منزله، يحادث نفسه، هل أكلمها؟

هل أسمع صوتها في يوم من الأيام؟؟

ولكن تردده وخوفه من رد فعلها أو فعل أخيها إذا علم، الأخ الذي يحتقر معظم أهل القرية لفقرهم وجهلهم.

وهي الفتاة الجميلة الغنية بنت الذوات، التي تسكن في قصر به الخدم والحرس، ولكن الحب لا يعرف غنيا وفقيرًا.

- وخالد وسيم الشكل طويل القامة، طيب القلب حسن الخلق مع الجميع، صمم أن يكون مثالاً لكل شباب القرية.

واجتهد وتفوق في تعليمه وحصل على الليسانس وأصبح معيدًا في جامعة أسيوط لكي يحقق أول أحلامه، وهو الحب الذي يملأ قلبه، ولكن كان حبًا من طرف واحد.

- حتى حانت اللحظة الذي انتظرها، أول يوم في العام الدراسي الجديد، وميرفت تذهب إلى الجامعة، بسيارة أبيها الفاخرة، لقد تركها السائق عند باب الجامعة، وبعيدًا عن القرية، وأهلها.

قرر خالد بعد صراع مع نفسه أن يكلمها لأول مرة، ولا يعلم أنها كانت تعرفه ناجحًا ومتفوقًا، وجميع أهل القرية يعلمون صفاته الحسنة.

- وصلت ميرفت من باب الحرم الجامعي تضيء الدنيا نورًا من وجهها الذي يشبه القمر ليلة تمامه، وهي صاحبة

العيون الزرقاء الساحرة، والشفاه ذات اللون الوردي. والعود ملفوف يشع منه الأنوثة.

وخالد يقف وجبينه ينزف عرقًا، منتظر قدومها عن بعد بعينين جاحظتين، وأطراف ترتعش، لا يعلم لماذا هذا الخوف، هل من حبه لها في أحلامه؟ أو لأنه اقترب من حلمه؟ أو خوفًا من أن يضيع هذا الحلم وهذا الأمل؟

يحادث نفسه ويتساءل في صمت هل تكلمه؟

هل تنظر إليه؟

هل تعرف اسمه؟

وهي تطأ الأرض بقدميها خطوة خطوة تتساقط حبات الفل والياسمين من شدة جمالها، إنها تقترب منه محمرة الخدود من شدة الخجل، حينما رأته تبادلت النظرات بينهما، واقترب منها بضع خطوات يريد أن يطير لا يشعر بقدميه من الفرحة العارمة.

- وقال بصوت هادئ: صباح الخير آنسة ميرفت.

- وقالت بصوت يكاد ألا يسمعه أحد من نعومته: صباح النور أستاذ خالد، ما أجمل هذا الصوت الحنون الدافئ.

ولكنها تعرفني، نعم ذكرت اسمي.

ومن بالقرية يجهل الأستاذ خالد المعيد، يا له من قدر تغير، والحلم أصبح حقيقة، والآن يقف يحادثها، لقد رقص قلبه.

- مبارك عليكِ العام الجامعي الجديد ربنا يوفقك.

وهي تنظر حائرة إلى الأرض مرة وإليه مرة بخجل وحياء: الله يبارك فيك.

فحمد الله وقال: أخيرًا سمعت صوتك؟

- هي تبتسم: لماذا؟

- وقال: منذ زمن ومناي أن أسمع صوتك.

- وقالت بابتسامة جميلة: أنت إنسان محترم، وأنا أعلم عنك الكثير، ناجح، ودائما متفوق ومن أوائل الجامعة، حتى أصبحت معيدًا، وقريبًا تصبح دكتورًا جامعيًا، يا رب أكون نصف هذه الموهبة، أهل القرية دائما يذكرونك.

- وقال في فرح وسرور: أنا اليوم أسعد إنسان في الدنيا، هذه شهادة أفضل من شهادات الدنيا.

- وقالت: هل تحب أن تستمر في الجامعة؟ أم تحصل على وظيفة أخرى؟

- وقال: رغم حبي للجامعة ولكن أتمنى العمل في سلك القضاء.

- وقالت: ربنا يوفقك تستأهل كل خير.

- وقال: كلية التربية تريد منكِ مجهودًا.

- شكرته على هذا الوقت، وهذه النصيحة، وقالت: لا بد أن أدخل الكلية لأرى مواعيد المحاضرات.

- وقال: هل أرافقك، أنا هنا معيد ولست طالبًا، مازحا.

- وقالت: لا أحب أن أتعبك.

وهل هذا تعب؟ يحادث نفسه: لو تعلمين ما في قلبي، لا أريد فراقك، أتمنى أن يصبح لي جناحان لأحملك فوقهما وأطير وفوق سطح القمر أعيش، أنظر إليكِ وأسمع نغمات صوتك بعيدًا عن عيون البشر.

- إنها الفرصة، وأجمل أوقات مرت بحياته، وهو يقف يتحدث مع ذات الحسن والجمال الباهر.

لقد استمر بجوارها يتأمل في حسنها حتى أخذت مواعيدها، وعلم بالمواعيد حتى يأتي إليها ليراها لو عن بعد.

- وعلاء الأخ المتعجرف على الجميع، وهو صاحب السلطة القوية، وهذه الوظيفة المرموقة التي حصل عليها من الدولة لكي يحافظ على الضعفاء من الظلم، ويحقق العدل بين الناس، ولكنه استغل هذه السلطة على الضعفاء، فقراء القوم.

والحاج شاكر أبوه الذي يحبه بجنون، يحلم أن يراه وزيرًا للداخلية يومًا ما، ودائما يقول متى يا بني أشوفك عريسًا وأفرح بك وأحمل أحفادي؟

لكن هذا الابن المتعجرف لا يفكر في الزواج، دائما يقول: لا توجد من تناسبني.

فهو متعالٍ حتى على من يتزوجها، فهو الضابط الذي يحمي أموال أبيه والأراضي الذي اغتصبها أبوه من الفقراء ظلما، وأي مشكلة تواجه الأب دائما هذا الابن الذي يقوم بحلها بطريقته الخاصة، حتى إذا كان ظلما وكرها لمن يقف ضد أبيه.

- أما ميرفت الجميلة طيبة القلب رقيقة المشاعر فجميع أهل القرية يحبونها، ودائما تعترض على أفعال أخيها، وتقوم بمساعدة أهل القرية دون علم أهلها.

هي لا تحب هذه الأفعال الشريرة من أخيها وأبيها، فكانت تسمع وترى الشتائم والإهانات لأبناء القرية، إذا تجرأ أحد وذهب إليهم يشكو من شيء ما.

- أبناء القرية البؤساء لا يوجد لديهم غير الظلم والفقر والجهل المتوارث.

يوجد لديهم من يمارس الطب بدجل معتمد على التخلف والجهل الذي عشش في عقول البشر، حتى أغنياء القوم فمنهم الجاهل الذي يعتمد على الدجالين السحرة.

وبها عمدة يخاف على منصب العمودية، بالنسبة له إرث أجداده، وليس بالكفاءة.

لقد حاول هذا العمدة الانتهازي بكل الطرق أن يتقرب من الضابط علاء وأبيه، حتى أقنع الحاج شاكر أن يحدث بينهم نسب ويأخذ ميرفت إلى حمدان الجاهل تعليمًا ابن العمدة لكي يضمن العمودية ألا تخرج من بيته والمال والقوة المحمية بالسلطة.

وتمت خطبة حمدان بميرفت دون أخذ رأيها، وفرح العمدة بهذا النسب، جميع أهل القرية يخشون الضابط علاء، الذي يفعل أشياء مخالفة للقانون مع أهل القرية، تلفيق القضايا لمن أراد، دون علم إدارته.

وهذه الأعمال فردية من شخص مريض نفسيًا.

ورغم ما يحدث من تعدٍ وظلم لكثير لسكان الأرياف في الصعيد، فهناك المجرمون وتجار السلاح والمخدرات والإرهابيون هم من يستحقون هذه القوة واليقظة من قبل رجال الأمن.

أما هؤلاء الضعفاء فمنهم من يضيع مستقبله بسبب ظلم أو خطأ غيره..

- ولكن وسط هذا الجهل وهذا الظلم ظهر خالد بن حامد الذي درس القانون لكي يصبح قاضيًا، وهذا حلم حياته.

كل سنة له ترتيب في الجامعة، هو أول من درس القانون في قريته، وكان يحب ميرفت حبًا جمًا، ولكن خوفه من هذا الحب أن يصبح سرابًا، أو العاقبة تكون سيئة.

_ واستطاع خالد أن يحل عقدة ميرفت من الماضي الأليم الذي يعيش في وجدانها بسبب حادث الختان، لقد جعلها

تثق بنفسها، كثرة النصائح التي دائما يحرص عليها منذ أن علم هذا الماضي الأسود، هو من المعارضين لهذه الأساليب القذرة المشمئزة.

ولكن ماذا يفعل في عقول تحجرت؟ فهؤلاء أبناء الريف يقولون كيف لا تختن الإناث؟ إنها السنن الدينية وتحافظ على عفة الفتاة، لقد وجدنا آباءنا يفعلون هذا.

إنها التقاليد والعادات الاجتماعية الخاطئة هي ميراث الأجداد.

ورغم ما تؤدي هذه العمليات البشعة أحيانا إليه كالوفاة بسبب النزيف أو الصدمة أو تسمم الدم، ولكنها منتشرة بين مجتمع الريف.

ومرت فترة ليست بالقصيرة بين خالد وميرفت في مرح وسعادة، أيام، ساعات طويلة جميلة يجلسان معًا، يتسامران يضحكان يمشيان داخل حرم الجامعة.

حتى سكن قلبها، ولكن لا يوجد لديهما القدرة على أن يعترفا بهذا الحب الطاهر.

- ينظر إليها بعينيه العسليتين سابحا في عينيها الساحرتين، يريد أن يصرخ ويخرج ما في جعبته حتى تعلم أنه عاشق

كمجنون ليلى، نعم إنه يعشقها ويريد أن يحفظها بين أضلعه، ولكن هل تحبه مثلما يحبها؟

هل تقبل أن تكون زوجة لرجل فقير؟

ولمَ لا؟ فسوف أصبح دكتورًا جامعيًا أو أسلك وظيفة مرموقة عن قريب.

إن قصة حبهما التي بدأت جعلت لا فرق بين غني وفقير، لا ينظران لهذه الأمور التافهة، لقد أحس أن قلبها تعلق به، لقد رأى في عينيها الساحرتين لوعة الحب.

لا يستطيع البعد عنها يتمنى أن تجلس بجواره طيلة حياته سكنت في أعماق قلبه.

لقد جلس ينظر إلى القمر ويقبض على قلم ويكتب، ماذا أكتب؟ وكيف أبدأ؟

كلما كتب كلمة، هذا لا يجوز، خوفه من جرح مشاعرها جعله يتأنى بكل كلمة يكتبها، صفحات كثيرة من الورق ملقاة بجواره، وأخيرًا تجرأ وكتب كلمات نابعة من باطن قلبه معترفا لها بحبه الكبير.

قائلا....

" إلى من تسكن أحلامي و تعيش في شرياني، إلى روحي وحياتي، إلى من يعشقها قلبي، إلى من لا ترى عيني غيرها، إلى من يتنفس قلبي اسمها، إلى من أحلم أن يأتي اليوم معا في عش الزوجية، أحبك عدد النجوم في السماء، أحبك عدد الطير في الهواء.... أحبك"

- وفي حيرة وترقب سائلا نفسه: بماذا ترد؟

لقد وصلت الرسالة وقرأتها، لقد رقص قلبها فرحًا، أخيرًا اعترف، ولكن ترددت لخوفها من أهلها، فهي تعلم أنهم لن ولم يوافقوا أبدًا على هذا الأمر، لفقر خالد وأهله، ثم قالت لنفسها: نعم أنا أحبه، تاركة خلف ظهرها ردود أهلها.

واعترفت بحبها وأنها من وقت بعيد تحبه، ولكن أخاف عليك مني يا خالد. فأهلي لا يعرفون غير المال والأراضي..

- وقال وأصابع يده متشابكة مع يدها، ميرفت إن حبنا أقوى من كل شيء..

هذا الحب بين اثنين قلوبهما طاهرة، يخافان على بعض أكثر من بعض، فهما لا يوجد بينهما شيطان، أما الذين

يوجد بينهم الحب والخوف من الله والأدب والاحترام المتبادل، يريد أن يدخلها باطن قلبه حتى لا يراها غيره..

جلسا كثيرًا وخرجا أكثر، حينما يعانق يديها، يرتجف قلبه خوفًا، فكان الحب الطاهر هو الدائم بينهما، لقد تعاهدا أن يستمر هذا الحب إلى الأبد.

وفي يومٍ حيث تعيش أجمل أيامها مع حبيبها عادت من الجامعة فرحة كالعادة وتحلم متى يأذن الله أن يجمعها بخالد حبيب القلب، فنادى أبوها، قائلا: ميرفت، اقتربت منه تبتسم: نعم يا أبي؟

- الأب بصوته الخشن: ميرفت سوف نقرأ الفاتحة لكِ اليوم مع العمدة وابنه حمدان، شاب ممتاز وابن أحسن ناس وغني، وسوف يصبح عمدة بعد أبيه...

- هي اتسعت عيناها وفغرت فاها تسمع في دهشة وذهول كأن روحها اقتربت من الحلقوم، لا تصدق، لقد تقطعت أنفاسها، وتحجرت عيناها، لقد استجمعت آخر أنفاسها لتقول بصوتٍ ضعيف وملامح وجهها التي تبدلت: مين يا أبي؟ أنا؟!

- الضابط أخوها يجلس بجوار أبيه ساخرًا: نعم أنتِ، هل يوجد أحد غيرك؟!

قالت والدموع تسيل من عينيها الجميلتين: كيف هذا؟! أنا في أولى جامعة، ولن أتزوج إلا بعد الانتهاء من التعليم.

- الأب: تعليم؟ ماذا تأخذين من التعليم؟ ثم إن بنات أهل القرية يتزوجن أصغر منكِ بكثير وبدون تعليم.

- الأخ: فعلا يا أبي جميع بنات القرية يتزوجن أصغر من ميرفت بكثير..

البنت ليس لها غير الزواج المبكر.

- الأب بصوت غليظ: ميرفت لو أردتِ التعليم أكملي عند زوجك لا توجد مشكلة، وبعدين الزواج سيتم بعد سنتين إحنا اتفقنا على هذا.

- هي: هذا الشخص غير متعلم، جاهل، لقد سمعت عنه من قبل، فسمعته السيئة تسبقه عند الجميع.

- الأخ يرد: هو أغنى من وزير التعليم، الرجل بجيبه ليس بشهادته.

لقد بكت ميرفت وشهقت بصوتها الرقيق وابتعلت ريقها وقالت: أبي أحب على أقدامك أنا أود أن أكمل تعليمي ولا أريد الزواج الآن.

وهو بقلب جاف حاد: انتهى الموضوع، لا نقاش، غدًا سوف نقرأ الفاتحة.

فأسرعت إلى غرفتها تبكي وتصرخ وتتألم ومرارة البعد عن خالد الذي سكن قلبها: سوف أنتحر سأقتل نفسي.

وجاءت المربية، وأخذتها في حضنها وهي تبكي وتصرخ وقالت:

يا ميرفت الزواج نصيب ويمكن ترتاحي معه.

_ ميرفت: فينك يا أمي؟ ياريتك موجودة تنقذيني منهم، كيف أتزوج رجلاً سيئ السمعة؟!!

والجميع يعلم أنه فاسد الأخلاق، جلست ميرفت حزينة، دون مأكل أو مشرب، ولكنها قررت أن تذهب إلى خالها العميد طارق عبد الغفار في الصباح الباكر، الذي يسكن بالمحافظة، وهذا الرجل كان من المخلصين في عمله، ومن النماذج التي تمثل هذا الجهاز العظيم جهاز الشرطة..

ودائما في خلاف مع الحاج شاكر، هو يعلم أنه رجل طامع في كل شيء، لا يذهب إلى بيته إلا في المناسبات وهو من يحمي علاء الضابط، ولكن دون قصد منه.

لا يعلم بهذه الأفعال من علاء مع أهل القرية فإنها تحدث في الخفاء.

وهو الرجل الذي يحب الحق، يعمل بمديرية الأمن بالمحافظة.

ذهبت إليه في الصباح الباكر ودموعها على خديها، قبل أن يذهب إلى العمل، زوجته كالعادة تحضر الفطور، دق جرس الباب ذهبت زوجة خالها فتحت الباب، وكان الرجل ليس لديه أولاد فزوجته عاقر، والعميد من حبه لها لم يتزوج غيرها.

قالت ميرفت: صباح الخير يا زوجة خالي.

لقد فرحت زوجة العميد وأخذتها في حضنها والدموع في عينيها: حبيبتي لماذا يا بنتي هذا الجفاء؟ لماذا لا تزورينا وأنا مثل والدتك؟

ميرفت تبكي وتتأسف، قاطعها خالها قائلا: لا تحلفي شاكر أبوكِ هو من منعك، وسلم عليها وقبلها وهى تبكي، وأقبلت

على يده مقبلة، فهي البنت المحتشمة التي تعرف أصول الأدب مع كبار القوم.

وقالت: أنتم واحشني...

وقال: منذ أكثر من سنتين يا ميرفت لم أرَ وجهك، حتى أخوكِ كان سيتم نقله إلى آخر الدنيا، ومنعت هذا القرار ومن يومها لم أره إلى الحين من أكثر من سنة، وأنا إشارة مني تجعله يجلس بجوار أبيكِ في البيت، ولكن عشان خاطر أمك الله يرحمها أنا صابر عليه هو وأبوه من زمن.

طمنيني عليكِ يا بنتي.

- نظرت إليه والدموع تنهمر على خديها قائلة: أنقذني يا خالي، أبي وأخي سوف يزوجاني ابن العمدة الجاهل سيء السمعة عنوة.

قالت زوجة العميد في تعجب: كيف هذا؟ أنتِ سلعة تباع وتشترى؟ تصرف مع هؤلاء المجانين يا طارق.

العميد طارق صامتا برهة، ثم تحدث في حزن: شاكر طماع يا زينب، زوجته: محتاج يستولي على كل شيء، طماع أنا أعرفه منذ زمن، لقد استحل لنفسه أراضي الناس الغلابة

وأخذها عنوة، هذا يفعل أي شيء به مصلحة لجمع المال حتى لو على حساب فلذة كبده.

ميرفت: اجلسي هنا حتى أعود من المديرية.

- وقالت: عندي محاضرات اليوم.

_ زوجة العميد: يا ميرفت هذا بيتك، وإحنا أهلك تعالي اجلسي معنا.

وقال: ميرفت لا تحزني خالك يستطيع أن يحبسهم، وطالما أنتِ لم توافقي على هذا الزواج فلن يتم.

وسوف أتصرف معهم، فرحت ميرفت وذهبت إلى الجامعة لكي تلتقي خالد وقصت عليه هذا الخبر الأسود، لقد اسودّ وجهه ووقع قلبه بين قدميه.

- يحادثها وهو مشتت الفكر في ذعر قلبه يكاد أن يتوقف، وأنفاسه تتقطع، من يأخذك غيري، سوف أذهب إلى أبيكِ، كي أعلن حبنا الطاهر.

- قالت وملامح الحزن على وجهها: خالد، هم موافقون على ابن العمدة، وإذا ذهبت إليهم الآن فلن تنال إلا الألم والقهر، أنا أعلم أهلي جيدًا، ينظرون إلى الناس بكثرة

أمـوالهم، ولكني ذهبـت إلى خـالي العميـد طـارق، وعلـم بمـا حدث، وسوف يذهب إليهم.

ولكني خائفة، أبي لا يحب خالي العميد.

- خالـد الـذي فقـد التركيـز لا يسـمع ولا يـرى شـيئًا، فعينـاه جاحظتـان منـذ سـماع الخبر المشـئوم لـم ينطـق، يفكـر ويفكـر، أخيـرًا تحـدث بصـوته الحـزين: ميرفـت لابـد أن أجلـس مـع أخيـكِ، هـو شـاب مـتعلم وسـوف أقنعـه، إزاي يقبـل أن يناسـب شخصًا جاهلا وسمعته سيئة.

- وقالت: أخاف عليك يا خالد منهم.

وفكـر خالـد أن يقـول لأبيـه ليـذهب معـه، ولكنـه متأكـد أن أبـاه سـوف يـرفض، هـم أغنيـاء القـوم، ومتكبـرون، وينظـرون إلى هـؤلاء على أنهـم عبيـد، ولكنـه قـرر أن يـذهب إلى الضـابط علاء في بيته.

وفي مساء اليوم كان علاء يجلس في حديقة المنزل الفخم.

- وصل خالد: السلام عليكم يا علاء بك...

- علاء بكبرياء: أهلا، من أنت؟

هـو يعـرف خالـد فهـو المعيـد المعـروف لـدى الجميـع في القريـة، ولكن حاول الضابط أن يقلل من شأنه.

- خالد بن حامد.

- علاء باستهزاء: أنت المعيد في الجامعة؟؟

- نعم. علاء: هل عندك مشكلة؟!

- عـلاء بـك، أنـت إنسـان مـتعلم وفـاهم وأكيـد سـوف نفهـم بعضنا دون خلاف.

أنـا معيـد في الجامعـة، وإن شـاء الله سـوف أصـبح دكتـورًا عـن قـرب، أو يـأتي تعييني في سـلك القضـاء، أنـا مـن الأوائـل، وأنـت تعلم أن الأوائل سوف يتم تعيينهم بمشيئة الله؟

- عـلاء سـاخرًا: كـل شـيء نصـيب يـا أخ ربنـا يوفقـك، أكمـل مـاذا تريـد؟ عـلاء يظـن أن خالـد أتـى إليـه بحثـا عـن حـل مشكلة.

- خالـد: والـزواج أساسـه التفـاهم والحـب والمـودة والتكـافؤ في التعليم والسن.

وأكيد أنت سيد من يعلم هذا؟

- علاء في لهجة حادة: انهِ كلامك ماذا تريد؟؟؟

- خالد في ثقة: يشرفني أن أناسب الحاج شاكر، وأطلب يد ميرفت، خطوبة لمدة قصيرة إلى أن يتم تعييني، وهي في أولى جامعة وأمامها ثلاث سنوات.....

علاء يضحك بصوت عال وبيده سيجارته وقال: أنت تتكلم جد!!!

- خالد في ذهول من هذا الرد: نعم.

نهض علاء وأمسك رقبة خالد بقوة وأخذ نفسًا عميقا من سيجارته وأطلق الدخان بكثافة في وجه خالد، وقال: أنت عارف هي بنت مين؟ وأخت مين؟؟

- خالد: طبعًا

- علاء: وأنت ابن مين؟

- خالد: ابن رجل فقير ولكنه شريف، ليس بالرجل الفاسد ولا المجرم ولا هو بقاطع طريق طامع في أموال غيره.

- علاء بغضب: ولكنه جربوع وساكن في عشة، أنا لم أسمع شيئا، وبالوعيد والتهديد قال: لو سمعت هذا الهراء مرة أخرى، في مستشفى مجانين قريبة من المحافظة.

- خالد: خسارة افتكرتك فعلا باشا؟

- علاء يصرخ في وجهه: ارحل قبل أن أفقد أعصابي وأجعلك عبرة.

ذهب خالد يائسًا حزينًا من هذا اللقاء المرير، ولكنه كلما تذكر فراق ميرفت ألقى نفسه في المهالك بحثا عن حل لتكون ميرفت شريكة حياته، حتى إذا كان الأمل مفقودًا..

وكانت ميرفت ترى وتسمع من شرفة البيت، وتبكي حينما سمعت رد أخيها وتم طرد خالد أمام عينيها.

وفي هذا الوقت وصل العميد طارق بسيارته، وحينما قال حارس بيت شاكر: أهلا يا فندم وبصوت عالٍ من عند الباب، سمعه علاء وذهب إليه مسرعًا.

وقد رأى خالد العميد طارق وهو يسلم على علاء من بعيد، وهو خارج، وأخذه بالأحضان.

- العميد: عامل إيه يا ولد يا علاء؟

- الحمد لله يا خالِ. قال: فينك؟ ليه بطلت تسأل علينا؟! ولا أبوك كرّهك فينا يا ولد؟

- علاء: يا خالِ والله الشغل هنا.

- العميد: شغل! أنت شغال في وزارة أخرى، أنت تحت عيني يا ولد؟

- علاء: والله يا خال أنا بسأل عليك دايما، نحن نعيش بحسك يا هنا وفي الوزارة.

- العميد الحمد لله إنك وأبوك عارفين إن اسمي هو اللي يحميكم بعد الله.

- العميد: فين أبوك؟

وصل الحاج شاكر مغرورًا متكبرًا، وسلم على العميد طارق وقال: أخيرًا دخلت بيتي يا سيادة العميد؟

- العميد: والله أنا دخلت بيتك عشان ميرفت فقط، لولا ميرفت لن أدخل بيتك.

- شاكر: أنا عارف يا باشا غضبان مني ليه؟ وبعدين مالها ميرفت؟؟

- العميد غاضبًا: أنت اتجننت يا شاكر!!

تجوز بنتك لواحد جاهل عشان غني!! تبيعها، ولا عشان أمها ميتة تبيع وتشتري فيها، خلاص الأرض والفلوس عمت عينك؟

- علاء: يا خالِ هذا شاب وابن عمدة القرية وأعيانها.

- العميد يقاطع: وجاهل وسمعته سيئة والله؟! هذا لن يتم طول ما أنا موجود.

الحاج شاكر جالس دون كلمة، كان يسمع ويفكر بماذا يرد على سيادة العميد، ثم نظر إلى طارق بك، وقال بكل قسوة: اسمعني جيدا يا طارق بك، هي ابنتي وأنا حر أفعل ما أريد، وحينما ترزق بنتًا أو ولدًا افعل لهم ما تريد.

- صمت العميد برهة ثم وقف من على المقعد ووجهه محمرّ وقال: أنت تعايرني يا شاكر على عدم الإنجاب؟

حزن الرجل قائلا: خسارة كبيرة حينما فكرت أن أجلس معك لأنك طول عمرك طماع وأناني وعمرك ما هتتغير، والله يا شاكر أني أستطيع أن أندمك على هذه الثرثرة، ولكن سوف أتركك للزمن عشان أولاد أختي ؟ يا شاكر غدًا تتحسر وتندم على جميع أفعالك وعلى طمعك..

وذهب العميد وعلاء ممسك به قائلا: خالِ أنا آسف على ما حدث.

- العميد: يابني أبوك سوف يأتي يوم يبكي دمًا على أفعال كثيرة هو يعلمها، وذهب الرجل في حزن شديد، وصل إلى زوجته، قالت: ماذا فعلت لميرفت؟

صمت الرجل ولم يتحدث، غير أنه قال: هما أحرار إحنا لن نتدخل بهذا الموضوع.

شاكر نادى على ميرفت بصوت كالرعد من الغضب الذي يملأ قلبه، وصلت ميرفت خائفة حائرة.

_ الأب سائلا: هل ذهبتِ إلى خالك؟

_ ميرفت ترتعش رعبًا: نعم ذهبت؟

فرفع يده الغليظة وضربها على وجهها الجميل تركت أثار أصابعه بارزة حمراء على خدها، وأمسك برأسها وقال بغضب: طول ما أنا على قيد الحياة لا يوجد من له حكم في هذا البيت غيري، وبعد موتي أخوكِ فقط، وسوف تتزوجين ابن العمدة، مهددًا إياها ألا تعترض وإلا ستنال من العقاب والعذاب الأليم.

بكت ميرفت وللمت حزنها وكسرتها وهي تضع يدها على خديها وذهبت مسرعة إلى غرفتها.

وعاد علاء وقال: أبي ليه تكسف خالي هكذا؟

_ الأب: يا بني اسكت أنت لا تعلم شيء، خالك يرسم ويتحكم فينا، هو فاكر إني محتاج مثل زمان، الحين أنت ضابط قد الدنيا.

وغدًا سوف تكون عميد أو لواء أحسن منه.

_ علاء: أبي هو يستطيع طردي من الشرطة.

- الأب: هذا مستحيل، كان يحب أمك رحمها الله، وبعدين لو فكر أن يفعل هذا رصاصة في صدره من مجهول.

_ علاء بغرابة: أبي هذا خالي عميد في الشرطة وبعدين اسمه يهز المحافظة...

_ الأب: يا بني أهم شيء في حياتي أنت وأشوفك أعلى المناصب...

أما حمدان العريس، الذي يكرهه هؤلاء القوم، قال: أبي أنا لا أحب هذه الفتاة، ولم أرها من قبل، وأخوها يتعامل بكبرياء شديد مع الجميع.

_ العمدة ناصحًا ولده، أنت لو فالح كنت أصبحت ضابطا مثله، ولكنك فشلت في التعليم، لازم تتجوز أخته عشان

نضمن لا أحد في البلد يتعدى علينا ويأخذ منا العمودية، وأنت ضمنت تبقى عمدة من بعدي، وكمان أراضينا سوف تزيد، هذه الفتاة سوف ترث من الأراضي الكثير بعد وفاة والدها.

_ حمدان: هي متعلمة ويقولون إنها تدرس في الجامعة وأنا خرجت من الإعدادية؟

_ الأب: أنت ابن عمدة وغني وأي فتاة تتمنى الزواج منك، استحمل إلى أن يتم هذا الزواج، وبعدين أنا سمعت إن العروسة حسنة الملامح.

_ حمدان لقد سألت عليها فقالوا إنها قليلة الكلام، ولكنها فاتنة الجمال، على العموم حاضر يا أبي.

وفعلا ذهب العمدة وولده إلى بيت الحاج شاكر، لتتم هذه الزيجة الثقيلة على الجميع، ولكن أحيانا المصالح تجمع الكل..

جلس العمدة مع الحاج شاكر وولده الضابط، يتفق على مهر العروسة.

قال علاء بنبرة غرور الشروط وكانت كثيرة.

مثلا أن يكتب خمسة أفدنة من الأراضي الزراعية باسم العروس، ونصف كيلو من الذهب عيار٢٤، وجميع الأثاث من أغلى الأنواع، وكلامه أوامر.

حمدان فكر في الانسحاب من هذه الجلسة لولا أبوه الذي قال: يا باشا أنت كلامك أوامر علينا.

وميرفت التي تطيع الأمر في صمت خوفًا من بطش الأب والأخ، تجلس وتبكي في غرفتها، وتصرخ من داخلها دون صوت، والخادمة تقوم بمساعدتها في ملابسها لكي تسلم على عريسها حمدان الذي سمع عنها، ولم يرها من قبل.

وبعد أن نادى أخوها: ميرفت أقبلي. وهي خائفة ترتعش أطرافها، والدموع في عينيها الساحرتين، لقد سلمت على الجميع في حزن وفرح بها العمدة، حينما رآها فاتنة الجمال لكي ترضي نزوات ابنه فاسد الأخلاق.

أما حمدان حينما لمس يدها، وهي الفتاة الجميلة الأنيقة في ملبسها، بوجهها المشرق الحليب، وحينما نظر إلى عينيها الملونتين الجميلتين وشعرها الذهبي الذي تظهر منه خصلات

من تحت طرحة جميلة تضعها فوق رأسها تزيدها جمالا ووقارًا...

وخداها التفاحتان تعلوهما عينان زرقاوان ساحرتان، ولكن بهما حزن وخوف من مستقبل مظلم فرح بها حمدان، قائلا: والله يا أبي مش خسارة فيها المهر وتستاهل أكثر من ذلك؟

_ الضابط: اجلس يا حمدان ربنا يتمم لك على خير.

ضحك الجميع ما عدا ميرفت كانت تجلس في صمت وحزن وذهول.

وفي هذا الوقت جلس خالد مع أبيه وأمه ولم يستطع أن يعترف لهما بما حدث، خاف على أبيه فقد رأى من شاكر في زمن الذل والعذاب ليبيع قطعة الأرض الذي يمتلكها لهذا الظالم، وكان رجلا مسنًا.

فكر في حل آخر، وأن يذهب هو إلى العميد طارق، ولكن كانت ميرفت أخبرته أنه ذهب ولم يفعل شيئا، جلس يحادث نفسه ماذا أفعل؟؟

لو أخذتها وهربت من القرية! هل ترفض خوفا من أهلها؟ أو أخوها ينتقم من أهلي، وكان الحزن يملأ قلبه على فراق ميرفت، البكاء الحار يترك أثرًا على خديه، سوف أنتحر إذا

فقدتها، نعم الموت هو السبيل الوحيد، الحياة بدونها كالموت.

أما علاء الضابط الذي جلس مع أبيه بعد قراءة الفاتحة، وقال له: أبي، أتعرف من الذي جاء البارحة يطلب ميرفت للزواج؟

قال: من؟

قال: خالد بن حامد؟

قال الأب: خالد بن حامد مين؟! حامد اللي رفض يبيع لنا فدان الأرض زمان.

قال: نعم.

قال: اتجنن هذا في عقله؟ ولماذا لم تقطع لسانه أو تسجنه مع المواشي إلى أن يأتي حامد أبوه.

علاء: والله يا أبي سوف أعلمه الأدب، وكيف يفكر أن يأتي إلى هنا ويناسب أسياده؟

الأب: هو يعرف ميرفت أختك؟

الابـن: هـو يقـدر يكلمهـا أصـلا؟ هـذا شـخص متكبـر ومغـرور، وعايش في دور أن يصبح وكيلا للنيابة العامة.

الأب يضحك ساخرًا: وكيل نيابة مرة واحدة.

الابـن: نعـم هـو مـن الأوائـل في الجامعـة وممكـن يعـين في القضاء.

الأب متعجبًـا: ابـن حامـد الجربـوع سـوف يكـون قاضـيا؟؟ وكـأن الـدنيا خلقـت لكي يمـرح بهـا الأغنيـاء، أمـا الفقـراء فليس لهـم حقـوق ولا أحـلام، اتصـرف يـا بنـي مـع هـذه الأشـكال أحسن كده بقت مهزلة؟

الضـابط: هـذا في أحلامـه فقـط، أنـا سـوف أخـرب بيـت أبيـه وسوف أشرده حتى من الجامعة لكي يجلس بجوار أبيه.

ضحك الأب مسرورًا وقال: ربنا يوفقك يا ابني.

وفكـر الضـابط مـاذا يفعـل مـع خالـد، وحينمـا علـم مـن كثيـر مـن الناس أنه شاب مؤدب ومثقف والجميع يحبه.

قال لنفسه: هذا الشاب خطر.

وكانـت هـذه الأيـام تقتـرب مـن نهايـة العـام الدراسـي، وميرفـت لا تـذهب كثيـرًا إلـى الجامعـة، وإذا ذهبـت ينتظرهـا حمـدان

خارج الجامعة بسيارته، فهو خطيبها، وسيصبح زوجها في المستقبل القريب:

وتتعامل معه بضيق ظنًا أن يكون لديه إحساس مثل باقي البشر ويتركها ولا يتزوجها غضبًا عنها، ولكن هو رجل جاهل، يعشق النساء الحسناوات.

وميرفت ليست بالحسناء، بل أكثر بالكثير، هي جميلة الجميلات، وزواجها منه سيتم رغم أنفها.

وحمدان يتحمل منها الكثير من الإساءات، هي الفتاة التي سكنت قلبه من جمالها الباهر.

وهو الذي لا يعرف غير الراقصات العاهرات، يذهب إليهن، ونساء في القرية يفعل معهن الرذيلة، ولكن جميعهن غير متعلمات ولسن بجمال ميرفت، أما ميرفت الجميلة التي سكنت في أعماق قلبه من جمالها وأدبها وتعليمها وأناقتها.

وينتظرها أمام الجامعة بسيارته، خرجت ميرفت وبجوارها خالد، وحمدان يعرفه.

حمدان تنتفخ عروقه حينما يراها تخرج بجوار خالد، وقال بصوت غليظ متضايقا: أهلا أستاذ خالد. وتعبيرات الغضب ترتسم على وجهه المنفوخ، سائلا مستهزئا:

هل انتقلت كلية التربية؟

_ خالد بكل هدوء: أخ حمدان أنا وميرفت في جامعة واحدة، أنا معيد في الجامعة يعني دكتور يا أخ حمدان.

_ حمدان الغضب يملأ وجهه: ربنا يسهل حالك يا دكتور، اركبي يا ميرفت، وترك خالد واقفا حائرًا.

- ميرفت تتحدث وهو مسرع بسيارته: لا بد أن تتعلم أسلوب الكلام مع الآخرين.

_ حمدان باستهزاء: علميني أنتِ منك نستفيد.

_ ميرفت: لا تستهزئ بي.

_ حمدان يحادث نفسه: الذي لا يملك غير فدان أرض سوف يكون دكتورًا في الجامعة.

- ميرفت: ربنا دائما يوفق المجتهد.

صمت عن الكلام حتى لا يدخل معها في جدال وتغضب، هو لا يريد أن تغضب منه، وكذلك هي خافت أن تجادله ليقص ما رآه على أخيها علاء، سكتت عن الكلام حتى وصلت البيت...

وجاء الانتقام المنتظر من الضابط علاء وأبيه لشخص خالد وأهله الفقراء، وفي يومٍ ما في منتصف الليل الدامس والناس نيام أرسل الضابط علاء مجموعة رجال قسم الشرطة الذي يعمل به، وبهم من يعمل لحساب الضابط علاء، وتحت إمرته، ليقوم بتلفيق قضايا لخالد وأبيه.

وصلوا إلى بيت خالد، وكسروا باب المنزل المتهالك، ودخلوا عليهم وهم نيام فقام خالد مفزوعا وأهله: في إيه؟ وكيف تدخلون البيت دون إذن نيابة؟!

ضحك الجميع باستهزاء وقال أحدهم الذي يقوم بتنفيذ وتعليمات الضابط علاء قال: فتشوا البيت.

لم يجدوا غير مجموعة كتب عن التفسير والفقه والقانون وفي وقت كان مزدحمًا بجميع الرجال هنا وهناك، وفي غفلة من الجميع قام رجل بإخراج قطعة سلاح من جيبه وقال: لقد وجدت هذا السلاح داخل البيت.

أخذوا خالد وأباه الرجل المسن، وزجوا بهما في السجن حتى الصباح، وجاء الضابط المحقق وكان شابًا محترمًا ليس له علاقة بالضابط علاء وأفعاله، ولكن قرأ محضرًا به قضية سلاح بدون ترخيص وكتبًا سياسية مخالفة، فقام

باستدعاء الأب بمفردة الذي كان مريضًا وكان يبكي من الحزن.

قال الضابط: عم حامد اجلس على المقعد، وقدّم له كوبًا من ماء وقال: أنت رجل مسن وأنا لا أجهدك وأريدك أن تساعدني.

حامد والدموع بعينيه: يا بيه إحنا ماذا فعلنا؟

الضابط: ابنك يتبع مجموعات متطرفة، والدلائل موجودة إثبات عليه، أما أنت عندك قضية سلاح، البيت بيتك وقطعة السلاح ليس لها ترخيص، وتم استخراجها من منزلك، هذا ما يوجد في المحضر أمامي.

_ حامد والدموع في عينيه: يا باشا أنا عمري ما مسكت سلاح في حياتي، إحنا ناس في حالنا عمري ما آذيت أحد، وابني معيد في الجامعة وجميع البلد تحبه، والله حرام هذا.

_ الضابط المحترم الذي صعب عليه الموقف: يا عم حامد يمكن ابنك هو من أتى بهذا السلاح مع الكتب لغرض ما.

_ حامد: يا فندم اسأل أي شخص على ابني جميع الناس تحبه.

_الضابط: هل يوجد أعداء لكم في القرية؟

_ حامد: لا أدري.

ولكن إحنا ناس في حالنا ليس لنا دخل بأحد. صمت هذا الضابط لحظات ثم قال: سوف أخرجك من هنا.

_ حامد: وابني يا بيه؟!

ودخل الرائد علاء فجأة في هذا الوقت حينما علم أن الضابط المتولي التحقيق مع حامد غير أتباعه، هذا الضابط الذي كان لا يحب علاء، ولكن يتجنبه لحين أن يقع تحت يده قضية يكون علاء مشتركا فيها ويفضح أمره.

سلم الضابط علاء على النقيب محمود الشيخ وهذا اسمه، الذي جلس ينظر إلى علاء وهو يشك أن القضية ملفقة حينما علم أنهم من قرية واحدة، ولم يتكلم جلس يسمع وينظر إلى علاء حتى يتأكد.

قال علاء وهو الذي خطط لهذا كله: مين؟ عم حامد!! ماذا تفعل هنا؟

وكان الرجل يبكى بحرقة، قال: والله يا بيه ما أدري؟ أخذونا وابني بمنتصف الليل يقولون عندنا سلاح في البيت، لا أنا ولا ابني لينا في هذه الأشياء..

_ علاء: اجلس هنا، ثم قرأ المحضر وقال: يا عم حامد أنت سوف تخرج بكفالة، التي كانت محددة من قبل، أسئلة كثيرة تدور في ذهن النقيب محمود وهو جالس لا يتحدث فهذا الرائد رئيسه في العمل..

فقام علاء باستخراج المبلغ من جيبه وتم دفعه، بتأكيد حامد لم يكن معه هذا المبلغ في ذلك الوقت، وقال: موضوعك سلاح دون ترخيص قضية بسيطة، الآن سوف تذهب إلى بيتك يا رجل.

حامد والبكاء مازال في عينيه: وابني يا باشا؟

علاء: ابنك موقفه معقد، يتبع تنظيمًا متطرفا رغم أنه رجل قانون، وهذه مصيبة أكبر ولكن سنرى له مخرجًا.

فحاول الرجل أن يقبل يد الضابط علاء، رفض بسبب الموجدين فقط داعيا له بتوفيق.

وقال: اذهب إلى بيتك يا عم حامد، وذهب حامد الذي لفق له قضية سلاح حتى يضيع مستقبل ابنه المسكين...

وقام باستدعاء خالد، بعد أن أرسل النقيب محمود الشيخ إلى مأمورية لكي يبعده عن هذه القضية، دخل خالد وكان علاء موجودًا دون أحد بالمكتب.

هو يعلم أن خالد الذي درس القانون فاهم ولا يصمت على هذا، أحب الضابط أن يكون اللقاء بينهما دون وجود أحد خوفًا من أن يكشف أمره بين الضباط في عمله وهو الشخص غير المرغوب به من أصدقاء العمل.

_ علاء: أهلا أستاذ خالد. العيون تلتقي تنظر لبعض في غل وكره وضيق.

يا أخ خالد أنت شاب متعلم ومثقف ورجل قانون، كيف يكون لديك توجه سياسي وفكر متطرف، ألا تعلم أنها مصيبة وقضية من أشد القضايا؟ وسلاح في بيتك دون ترخيص أنت وأبوك، وأنت رجل معيد في جامعة وغدًا سوف تكون دكتورًا أو وكيل نيابة؟ وكان يبتسم بسخرية.

- خالد بكل ثقة يرد: لماذا أنا هنا؟ وأين أبي؟

_ علاء: لقد ذهب، أبوك رجل مريض، ولكن دفع كفالة، وطبعا لم يكن معه المبلغ، وأنا عطفا مني دفعتها له.

- خالد: لماذا هذه الكفالة؟

_الضابط: عشان قضية السلاح يا أستاذ.

- خالد: هذا السلاح ملفق وأنا سوف أقدم شكوى في وزارة الداخلية على ما حدث لي.

_ علاء يرتسم على وجه ملامح الغضب: شوف يا شاطر، أنت عندك قضية وأبوك عنده قضية ومن الممكن ألا تخرج من هنا.

لقد نادى على العسكري وقال: الولد هذا محتاج تربية.

أخذوا خالد إلى غرفة منفردة، وقاموا بتعذيبه حتى وقّع على محضر إجباري أنه صاحب الكتب والسلاح، وضاع مستقبله وهذا هو المطلوب لشاكر وابنه حتى لا يوجد بالقرية من هو يدافع عن حقوق الفقراء.

أما حامد الرجل الفقير، الذي مات من الحزن على ولده، وخرج خالد بعد بضعة أشهر طريدًا شريدًا، لقد تم طرده من الجامعة، وضاع مستقبله، وأمه من الحزن مريضة، وكان من الممكن ألا يخرج من السجن لولا أن تم عرضه على النيابة العامة بعد أن علم الضابط علاء أنه تم فصله من الجامعة، وضاع مستقبله وأنه يتبع تنظيمات متطرفة.

وجلس مع وكيل النيابة صاحب الأخلاق الرفيعة، ونفس سن خالد، وقص خالد كل ما حدث من إهانات وافتراءات، وأن مستقبله ضاع وكل شيء جميل في حياته حتى أحلامه فقدها، وأبوه توفي ولم يأخذ واجب العزاء، ولم يعلم ما هو مصيره بعد أن يخرج من السجن.

وبعد لقاء مع وكيل النيابة المحترم، قال: يا خالد لازم تعلم أن الله موجود، وأنت شاب قوي الإيمان والبلد بها قانون، وكل من أخطأ لا بد من معاقبته حتى لو كان وزيرًا في الدولة.

وسوف أخرجك، ولكن عدني بأن تترك هذا الانتقام الذي أراه في عينيك، وسوف أساعدك، ولي أحد الأصدقاء الأستاذ جورج فريد، لديه مكتب محاماة شهير في المحافظة ويحتاج محاميًا ذكيا عبقريا في القانون مثلك، وأنت سوف تنجح معه.

وسوف يعوضك الله عن الجامعة، وبعد فترة ارفع قضية رد شرف على الجامعة، واحتمال تكسبها وتعود إليها فيما بعد، واترك الظالمين ليوم الحساب، وسوف تكون محاميًا شهيرًا، في هذا العمل ويكون أفضل من عملك في الجامعة.

_ خالد يشكره من صميم قلبه، وأخذ عنوان المكتب، وتركه وذهب إلى البيت في حزن شديد مكتئبًا، ليجد الأم مريضة لا

أحد يرعاها، وفكر في قتل الضابط علاء ليستريح من هذا العذاب الذي يعيش به طيلة حياته.

وفي وقت متأخر من منتصف الليل خالد يجلس بجوار أمه يعطي لها الدواء، سمع باب البيت وذهب ليرى من الطارق؟

وفتح الباب وهو عازم على الانتقام من الضابط وأبيه إذا أمكن، لقد دمروا حياته، مستقبله ضاع وفقد أباه وحبيبته لم يرها مرة أخرى، ولكنه وجد ميرفت ومعها المربية تقف خلف الباب والدموع تنهمر من عينيها الملونتين، وتقول: خالد، حمدًا لله على سلامتك.

- هو: الحمد لله على كل شيء، تعالي أمي داخل البيت؟

_ هي: البقاء لله في والدك. وقالت وهي تبكي: كنت أعلم أنهم لن يتركوك من يوم ما طلبتني من أخي.

وهي التي حاولت أن تفعل شيئًا لخالد ولكنها لم تستطع لأن أخاها هددها، حينما علم من أحد الأصدقاء أن ميرفت تبحث عن مخرج لخالد من التهم المنسوبة إليه...

- هو ضحك ضحكة بها ألم وحزن وقال: ميرفت انتهى هذا الكلام ليس له فائدة الآن، ولكن لا بد أن تعلمي شيئا واحدًا، أن أخاكِ دمر حياتي ومستقبلي.

_ هي بصوتها الحنون تستعطفه وتتوسل إليه: مستعدة أن أرحل معك الحين إلى أبعد مكان ونتزوج بعيدًا عن هؤلاء قساة القلوب.

- هو والحزن يملأ قلبه: ميرفت هل ترين الحالة التي أنا عليها والبيت المتهالك الذي قال عنه أخوكِ إنه عشة لا تصلح إلا للبهائم؟

وهل هذا حل؟ إذا لم أكن جديرًا بكِ فلن أتزوجك، يا له من صاحب أخلاق عالية.

ميرفت.. أنا لا مستقبل ولا حاضر... لقد انتهيت، ياريت تذهبي كي لا يراكِ أحد، واعلمي أن حبي لكِ كان ومازال وسيستمر الشيء الصادق..

ذهبت ميرفت والدموع على خديها، وهي تعلم أنه يحبها، بل يعشقها، يحبها عدد الرمل في الصحراء والحصى في الطرقات.

وهي ترى في عينيه وترى غيرته فيهما، ولكن دون جدوى دون أمل دون فائدة، فهي تعلم حكم الأب والأخ المتسلط الظالم.

وذهب خالد إلى مكتب المحاماة، وقبل العمل مع صاحب المكتب الرجل الخلوق.

وكان دائمًا ناصحا، حتى صار بينهما صداقة أكثر من الإخوة لا فرق بينهما على الرغم من ديانتهما فكلٌ له ديانة، ولكن هم أبناء وطن واحد وحبهم لمصر وتمنياتهم لمستقبل أفضل لوطنهم.

وقام باستخراج كارنيه المحاماة، وعمل بهذه المهنة الجميلة، واستطاع في وقت قصير أن يسجل اسمه وسط كبار المحامين، فهو عبقري متفوق في القانون.

ويقوم بخدمة جميع أهل القرية البؤساء من يلجا إليه دون مقابل.

وتحسنت أحواله المادية وقام بتجديد المنزل رغم جلوسه في المحافظة دائمًا، ولكن الأم لم تغادر المنزل، رغم إلحاحه أن تذهب معه وتسكن في شقته الجديدة، فهو الآن لديه شقة بالمحافظة ولديه سيارة، أصبح من الأغنياء أو قريبا سيصبح.

وجميع أهل القرية يذهبون إليه إذا كانت لديهم مشكلة، هو الشخص المحبوب لديهم.

ولكن دائما وأبدًا تراه شارد الفكر به حزن يملأ قلب المحيط، إن قلبه الممزق على فقدانه حبيبة القلب ميرفت تجعله رغم تحسن أحواله المادية ولكن به ألم،

لم يرها منذ فترة، هل تتذكره؟

هل مازالت تحبه؟

هل تفكر به كما يفكر بها؟

نعم تحبك وتفكر بك ليل نهار، بل تعيش على ذكريات الماضي معك، تنتظر متى تراك، متى تسمع صوتك، تحلم في منامها، كل يوم تكلمك، تشكو وترمي همومها في أحضانك.

وكلما تسمعت أخبارًا عن خالد تفرح، فهي لم تره منذ فترة طويلة، بسبب أخيها الذي هددها لو علم أنها تتحدث مع هذا الشخص سوف يقتله، خافت على خالد فهي تعرف أخاها وتعلم أنه من الممكن أن يقتله انتقامًا.

وقبل هذا الزواج التعيس بأيام وفي سرية، وبعيدًا عن القرية وأهلها، قررت ترك منزلها، روحها، أهلها، ومتاعبها، وأن تذهب إلى روحها وأحلامها وعشقها، قلبها الذي ينبض باسم حبيب القلب.

وجدت نفسها بعد جري طويل تلهث وتقف على عتبة باب، مكتب خالد الذي هو معلوم للجميع، وحينما دخلت بوجهها المشرق الحليب.

_ عامل الاستقبال: أي خدمة يا فندم؟

_ هي بصوتها الناعم الرقيق: لو سمحت أريد مقابلة الأستاذ خالد المحامي، هل هو موجود؟

_ موجود يا فندم ولكن برهة من الوقت.

ودخل الرجل مسرعًا: أستاذ يوجد في الخارج بدر ليلة تمامه، هل أسمح لها بدخول؟

ابتسم خالد وقال: من؟؟

قال: لا أعلم ولكنها سائلة عليك شخصيًا.

_ خالد: أدخلها ليكن عندها قضية.

لقد فتح الباب ببطء وظهرت ميرفت تضيء المكان بنورها، وما كاد خالد أن يرفع عينيه إليها، حتى أحس بلهيب في جبينه وأعصابه تتخلى عنه، وارتعشت أطرافه، واهتزت ركبتاه، هو لم يرها منذ سنتين، لم يصدق.

وقالت: طالما نسيتني ولم تسأل عليّ، أسأل أنا وأسلم عليك.

- وقال ويده تحتضن يدها والحزن يقطع قلبه: وهل أحد ينسى روحه؟ أو ينسى قلبه؟!

ولكن تعلمين لماذا أبتعد عنكِ عنوة، رغم ذلك، لم أستطع فأنتِ تسكنين حتى أحلامي.

_ وكاد قلبه يتمزق فقد شاهد روحها الطيبة البكر عندما تتجرد من الحياة وتهب نفسها لله، لقد رأى نفسه في صلاتها، كما رآها في عينيها الساحرتين، ولكنه كان يرى في عينيها خوفًا، رعبًا، قلقًا من مستقبل غامض لها.

_ وقالت: أعلم أنك مهما ابتعدت فأنت في أعماق قلبي تسكن، ولن أنساك أبدًا.

- وقال وقلبه ممزق على فراقها: سمعت أن زواجك قريب؟ ربنا يسعدك في حياتك.

_ وقالت والدموع في عينيها الساحرتين الجميلتين: خالد أنا خائفة من هذا الزواج وليس لي أحد في الدنيا يخاف عليّ أكثر من نفسه مثلك، لا تتركني إذا لجأت إليك يومًا.

_ وقال: عمري حياتي، فداء دمعة من عيونك، واعلمي أني سوف أظل أحبك لآخر العمر مهما حدث.

وذهبت وهي تنظر إليه وكأنها تودعه ولن تراه مرة أخرى.

وحانت حفلة زواج ميرفت بعريسها حمدان، والحفلة يملأها المطربون والراقصات، وجميع أنواع الأطعمة، وجميع أنواع الخمور وطلق الأعيرة النارية التي تملأ السماء، ومعازيم من كل مكان، رجال شرطة وأعيان القرى المجاورة.

ولم يفكر الضابط علاء وأبوه في أن يرسل دعوة إلى خاله العميد لأنهم يعلمون أنه سوف يفضحهم أمام الناس، وحينما سأل أحد الموجدين علاء سائلا: أين خالك سيادة العميد طارق؟

ليرد الحاج شاكر بسرعة: طارق بك، للأسف مسافر ولم يستطع أن يحضر.

أما باقي القوم فيجاملون خوفًا، والعريس حمدان الذي يتعجل الانتقام منهم بسبب كبريائهم، حتى العروس سبب حبها الشديد لخالد تكره اسم حمدان، ولكنها لا تستطع أن تعترض على الحكم الظالم، وهذا القدر الذي يجمعها مع شخص لا تحبه خوفا من أهلها، وتم الزواج وقال حمدان لنفسه: سوف أتحمل حتى تأتي هذه الجميلة إلى بيتي.

ودخل العريس غرفة النوم ليجد ميرفت تجلس على أحد المقاعد بالغرفة، والدموع في عينيها الملونتين من الحزن

والخوف والحيرة، وحمدان قد شرب من الخمور والحبوب المخدرة ما يكفيه.

وحينما نظر إليها وهو مغيب العقل، شارد الفكر، لا يصدق نفسه أنه تزوج هذه الفتاة، ذات الوجه الأبيض كوجه ملاك، وخصلات شعرها الذهبي متناثرة فوق جبينها ناصع البياض، ولكن الحزن يكسوها، ومن شدة جمالها انقض عليها كالذئب الهائج وقام بتقبيلها في كل مكان بوجهها، وهي تبعده بشدة، وحينما تشم رائحة أنفاسه الكريهة، فتكاد تصاب بالغثيان.

وبعجلة الجاهل قام بتمزيق ملابسها بطريقة حيوانية متوحشة وظهر ساقاها الجميلان، وشعرها الذهبي، جميع مفاتنها قد ظهرت أمامه، بيضاء لها خصر ملفوف جميل، تصرخ في وجهه: هل جننت؟ وما هذه الهمجية أيها الحيوان!!

فرفع يده الغليظة ولطمها على وجهها المحمر، أصابع يده تركت أثرًا على خدها الجميل، وانهال عليها ضربًا بالشمال واليمين، لم تتحمل المسكينة وسقطت على الأرض.

كيف تخاطبين زوجك بهذه الطريقة؟ وأظهر وجهًا آخر لذئب بشري بانتقام وغرور وتملك، أنتِ الآن زوجتي ملكي.

وأخرج ما في جعبته من ألم الماضي بسبب كبرياء أهلها، أنتم ذلتوني لماذا؟! عشان التعليم؟

أنا رجل ثري، وكأن المال الذي يمتلكه وأبوه يحاول تكملة النقص الذي يشعر به بهذه الكلمات التي لا جدوى لها،

دائما تتعاملين معي بكبرياء وغرور وتجاهل لماذا؟

هذا الزوج الجهول الظالم لنفسه، والذي أظهر لها الصورة الكريهة له معجبًا بنفسه كطاووس ينفش ريشه مختالا بعرضه وطوله وماله، ويريد أن تعلم أنه كان على علاقات بالكثير من النساء ذوات الجمال، يرضي غروره فهو يحبها بجنون لأنها فاتنة الجمال، ويكذب لكي يعلمها أنه ليس بالرجل الضعيف، ولكنه وافق على زواجك لأجل أبيه فقط.

وهي تنظر إليه مذعورة بخوف ورعب، لا تتحدث تحسبا لضربها مرة أخرى، وهو يقبض على شعرها الذهبي ويكمل ثرثرته: وكمان فرحانة وأنتِ ماشية بجوار ابن حامد الشحات، أنا لم أنسَ ذلك اليوم، تذكر أيام الجامعة رغم مرور وقت طويل ولكن حقده وغيرته من خالد جعله يتذكر، وأخوكِ يتكلم معي بتعالٍ وكبرياء لماذا؟؟

أنا حمدان ابن عمدة البلد وأعيانها، وأنتِ الآن زوجتي.

وهي تبكي وتصرخ وترتعش، هل من نصير؟ إنها هي من ظلمت نفسها، هي من ارتضت هذا الجحيم طوعًا خوفا من انتقام الأب والأخ والتقاليد التي تظلم كثيرًا من بناتنا ولا تجلب غير الندم والحسرة.

وبعد ما أنهى ذكريات الماضي الأليم، وهو يعصر ذراعها، قال: وافقي أحسن أقيدك في السرير. وحينما رفضت أن تسلم نفسها بهذه الطريقة الوحشية، ذهب وأحضر المسدس ووضعه في منتصف رأسها ليخيفها، وهى تصرخ وتتألم وترتجف رعبًا، وما هذا الذي يحدث لها؟ أهو حلم أم كابوس مفزع أم حقيقة مرة، تصرخ: اقتلني ارحمني من هذا العذاب حرام عليك أنا تعبانة.

وبعد أن هدأ لحظات ناظرًا إليها بترقب: أصبر عليكِ اليوم بعد عدة محاولات فاشلة، يريد اغتصابها عنوة، فكر في خداعها، وقال وهو يمثل عليها المسكنة والمذلة قومي بدلي ملابسك التي تمزقت.

ويوجد أسفل المنزل مجموعة من أقارب العروس ينتظرون أن تخرج إليهم قطعة القماش المغطاة بدم العروس، وخرج العريس الجاهل من عندها يشرب السيجارة بشراسة وهو يخدعها لكي يهدئ الموقف بينهما لمدة دقائق لا أكثر.

وتركها تبكي وتصرخ بداخلها: أين أبي؟ أين أهلي؟ إلى من ألجأ؟

وذهب لمن هم منتظرون صك الرجولة وصك الشرف، ومن الناس من يظن أن بدون إظهار القطعة المغطاة بدم العروس، لا تكون العروس بكرًا عذراء.

قال للموجدين: اذهبوا العروس مجهدة، وحينما أنهي هذا الموضوع سوف تسمعون إطلاق الأعيرة النارية.

وهذا العرف التقليدي عند أهل الزوجين إطلاق الأعيرة النارية بعد فض العريس لغشاء بكارة العروس، ليلة الدخلة، وإظهار قطعة القماش المغطاة بدمائها.

- الأب: ماذا بك يا حمدان؟

لماذا تركت زوجتك؟!

- حمدان في استحياء من أهله: سوف آخذ بعض الأشياء وأذهب، وبعدين البنت لسة مرعوبة.

- الأب مكشرًا عن أنيابه وناصحًا ولده بذبح القطة للعروس ليلة الزفاف: يا حمدان أنت رجل، لا بد أن تعرفها أنك رجل من أول يوم.

- حاضر يا أبي.

وصعد حمدان مرة أخرى إلى ميرفت التي كانت ترتجف من الخوف ونظر إلى جسدها المشع منه البياض بتفحص بين، كأنه كلب مسعور جائع، وهي في رعب، وخوف من هذا المسعور.

- حمدان مصطنعًا الابتسامة: حبيبتي آسف أنا "حمار" حينما رأيتك لم أتحمل الصبر من جمالك الفاتن، وهذه العيون الزرقاء الساحرة التي جعلتني أصبر وأتحمل كل الإهانات من قبل.

أنا حبيتك يا ميرفت من أول يوم شفتك، هي تبكي لا تنظر إليه، يثرثر متوددًا: هل أحضر لكِ بعض الطعام والعصائر؟

- هي بحزن: لستُ جائعة.

- هو: أما أنا فجائع، لقد أحضر الطعام وجلس يأكل بشراسة ويشرب الخمر وهو ينظر إلى جسدها بتفحص بعد أن بدلت ملابسها نظرة متوحشة، لقد انقض عليها مرة ثانية، كالذئب المفترس..

يريد معاشرتها عنوة، وحينما لم يفلح معها قام بضربها وتقييد ذراعيها، وحينما نجح في التعامل معها بهذه الطريقة الوحشية وهي تصرخ وكأنه يغتصب سيدة عنوة.

ولو أعطى لنفسه برهة من الوقت من الصبر لكانت ملك يده، فهي الفتاة المتعلمة الحافظة لفروضها وطاعة زوجها رغم كرهها له.

- وبعد أن انتهى من الممارسة الجنسية معها بهذه الطريقة القاسية، قام وفك يديها من الحبال التي قطعت يديها، نظر إليها بتعجب وغرابة الأغبياء.

هي بدون ملابس بعد أن مزق ملابسها، وفي حالة ذهول ودهشة.

ناظرًا إلى فرجها، سائلا نفسه: لا يوجد دماء تنزل من فرجها على السرير كما كان يتوقع، أو كما علم من بعض أصدقائه الجهلاء، أنه في حالة معاشرة الزوج ليلة الدخلة تنهمر الدماء من فرج الزوجة حينما ينفض غشاء البكارة، هذا ما تعلمه من الجهلاء أمثاله.

- هو بصوت به غلظه وحدة: أين الدماء؟؟

- هي تصرخ من الفزع الذي تراه: دم إيه!!

- هـو: دمـاء فـض غشـاء البكـارة، سـائلا بتريقـة: هـل أنـتِ بنـت مثل كل البنات البكر العذارى؟

نظـرت إلـى نفسـها وقالـت: حـرام عليـك، الـدماء هربـت مـن الخـوف ومـن الطريقـة القـذرة الوحشـية التي فعلتهـا. وتبكي مـن الألم.

- هـو: هـذا الكـلام لا يـدخل عقلـي، فـين الـدم؟ أنـا سـوف أجرب مرة أخرى، "يقصد الممارسة الجنسية طبعا"

- هي: حرام عليك أنا مرهقة تعبانة.

- هـو يخيفهـا: هـذا الموضـوع يخصـك أنـتِ وأهلـك، هـذا شـرفك وشرف أهلك أنتِ فهماني طبعا؟

- هي بشيء من الحدة: ماذا تقصد بهذا الكلام؟؟

- هـو: فـين الـدماء؟ كـل عـروس يـوم زفافهـا تسـيل مـن فرجهـا الـدماء عنـدما يـنفض غشـاء البكـارة، ولـلا أنـتِ غير البنـات؟ لا يوجد عندك غشاء أصلا. يقولها بسخرية الجاهل.

- هي ثائرة: اخرس أيها الغبي أنا أشرف بنت في بلدك.

- هـو بجهـل: هنشـوف شـريفة ولـلا لأ، لقـد ارتعـب قلـب ميرفـت من طريقة حديثه التي بها تلميحات بأنها غير عذراء.

- هي: حرام عليك أنا مجهدة، تبكي ولكن خوفها من الثرثرة والشائعات التي من المحتمل أن تخرج لناس كذبا وافتراء عليها، وهذا الجاهل الذي أصر أن يرى الدماء ليثبت رجولته لأهله والناس، هذا ما كان يبحث عنه هذا الجاهل، قالت: اصبر علي دقائق.

لملمت ميرفت داخلها حزنها وكسرتها وذوبان كرامتها رغم أنفها، ودخلت الحمام واغتسلت وأصابع يده على وجهها وجسمها مازالت تترك أثرًا، ولكنها تحملت وقامت بتجهيز بعض الطعام والعصائر، فهي الفتاة المتعلمة المثقفة، وتعلم أن الخوف الشديد والجوع عاملان أساسيان في هروب الدماء في هذه الحالات.

وهو ينتظرها مثل الكلب المسعور

يقول: اخلصي عشان ننهي هذا الموضوع..

لقد جهزت نفسها هذه المرة مرتدية روبًا أحمر من ستان مفتوح من الأمام، يا لها من فتاة جميلة الجميلات، يقولها الزوج الذي ينتظر بلهفة وهي تنظر إليه بوجهها المثير الذي يكسوه الشجن والحزن على حالتها، ولكي تثبت أنها بكر عذراء وأشرف من الجميع.

لقد نام في حضنها الدافئ، هذه المرة برضاها ولكن دون فائدة، حينما انتهى من الممارسة الجنسية، الاثنان يترقبان كأنهما في اختبار في المدرسة، يا أسفاه القدر تعندها ولم يقف معها..

والذي يشغل حمدان الآن ليست جمال ميرفت الباهر، بل دماء ميرفت.

وقف حمدان ناظرًا إليها، وهي تنظر حائرة ولكن دون فائدة لا يوجد دماء، هي تبكي وتلطم خديها، ماذا حدث لها؟!!

أهو الخوف؟ سائلة نفسها: ماذا حدث؟ هل من مشكلة حدثت لا تعلمها؟ أين دماء فض غشاء البكارة؟ هي تعلم لا يوجد مشكلة غير بعض من الوقت..

ولكن زوجها المتعجل حمدان يقف حائرًا، لا يتكلم ينظر إليها نظرة بها كثير من الألم والجروح، ولكنه يفكر في حل آخر يمكن لا أعلم طريقة فض غشاء البكارة، هذه أول مرة في موضوع الزواج حتى النساء التي كان يعاشرهن في الحرام، فالجميع بين المتزوجة الخائنة والمطلقة العاهرة سائلا نفسه ما هو الحل؟

وكان الوقت يقترب من الفجر وهي تبكي، لقد تركها وذهب إلى أمه، هي امرأة ذات شخصية، وحينما نظرت إليه وجدت وجهه مسودًا من الحزن. قالت: ما بك يا حمدان؟

قص عليها ما حدث، الأب يصطنت من خلفهم، خرج وبصق على وجه حمدان، وقال متضايقا: هل أنت رجل؟

- حمدان مغلوبًا على أمره: ماذا أفعل؟!

- الأم: يا عمدة اصبر ابنك رجل، هي لديها مشكلة.

- الأب مستغربًا: مشكلة إيه؟؟

- الأم: يمكن خائفة، سوف نرى، أرسل الغفير يحضر فاطمة الداية.

- هي المأوى والمرجعية للجميع فهي أفضل من الأطباء، لدى القرية.

- العمدة: فاطمة مين يا أم حمدان!! كده تبقى فضيحة.

- الأم: الداية من تأخذ عذرية العروس، "والمقصود أن تدخل العروسة بطريقة البلدي" دون علم أحد أو

تعلمنا إذا كانت العروس بها علة؟ وأحضر معها اثنتين من النساء الأقوياء لمساعدة الداية، ولا يعلم أحد.

استسلم العمدة لأوامر زوجته، لقد وصلت الداية ومعها اثنتان من النسوة، صاحبات العضلات القوية، ودخلن على ميرفت فجأة، وبسرعة البرق جاء في ذاكرة ميرفت يوم الختان، فهي نفس الداية، وصرخت بوجوههن: ماذا تردن مني؟ اغربن عن وجهي.

- حمدان: يا ميرفت لا تخافي فاطمة هي التي تنهي موضوعك في دقيقة ونشوف دمك وشرف أهلك.

وأمسكوا ميرفت من ذراعيها وقدميها عنوة وتم تجريدها من ملابسها وقامت الداية بإدخال إحدى أصابعها داخل فرجها بطريقة وحشية قذرة، ليس بها غير الجهل والمرض، وهي الفتاة الجامعية المثقفة، التي تصرخ وتنادي على من ينقذها من هؤلاء المجرمين الجهلاء.

- الداية بعد عدة محاولات بها كل شيء من الجهل والكفر والمرض والغباء، هيا يا نساء اتركوها، وميرفت تصرخ من هؤلاء الجهلة.

وحمدان يقف متفرجًا مثل جدار الحائط، منتظرًا دماء ميرفت، كأنها أضحية العيد، سائلا: يا ست أين الدم؟؟ أين تذهبين؟

تركت هذه الداية غرفة العروس، متجهة إلى العمدة وزوجته، وفي صمتٍ رهيب من الجميع، وترقب من العمدة وزوجته ماذا تقول هذه الداية؟ وهي التي تنظر إليهم عن بعد.

أخيرا نطقت هذه المجرمة، وفي استحياء منها لكي يصدقها وهي كذلك لأن الجميع سوف يصدقها حتى إذا كان كلامها وهمًا وكذبًا وافتراء.

قالت: ربنا يستر على بناتنا، يا أم حمدان، هذه الفتاة ليست بكرًا غير عذراء، لأن غشاء البكارة غير موجود، بالتأكيد ضحك عليها شاب من الذين يعدون بزواج ويهربون...

صرخت أم حمدان ولطمت على وجهها، هي لا تريد هذه الفضيحة، إنه بيت العمدة، أحد أكابر المنطقة، يا لها من فضيحة، بل كارثة حلت علينا.

لقد تم تصديق هذه الكذابة، وخرج العمدة من غرفته مسرعًا، قائلا لجميع النسوة إذا تحدثت إحداكن في هذا الموضوع سوف أقتلع لسانها.

وذهب هؤلاء النسوة بعد الانتهاء من هذا الكشف الذي ليس له روشتة من طبيب ولا دواء ولكن به تأليف وكذب وجهل بالوراثة.

جلس حمدان مع أبيه وأمه والحزن يخيم عليهم، قال العمدة: إحنا ليس لنا علاقة بهذه الفضيحة، هذه فضيحة لهم، "طبعا يقصد أهل العروسة"

اسمع يا حمدان لا تقرب هذه الفتاة مرة أخرى وسوف أتصرف.

وكأنما هذه الداية كلامها نابع من علم أو دراسة بكلية الطب جامعة القاهرة مثلا أو غيرها، لا يوجد من يقول نذهب إلى مستشفى حكومي أو نحضر طبيبًا إلى البيت ليكشف على ميرفت، حتى لو في سرية بعيدًا عن ثرثرة أهل القرية، ولكن تم تصديق كل كلمة قالتها هذه الداية المجرمة.

وصعد حمدان إلى ميرفت غاضبًا والشرر يملأ عينيه الواسعتين، ووجهه القبيح المنفوخ، ينظر إليها دون كلمة، قالت ميرفت بصوت مبحوح من كثرة الصراخ:

ماذا قالت النسوة؟

رغم تعليمها في الجامعة وتعلم أن الذي حدث لها جهل وخطأ فادح، ولكنها بنت تريد أن تفرح مثل باقي الفتيات، ورغم الألم والتعب والمرار الذي رأته من هؤلاء الجهلة، نسيت كل هذا، وتريد النتيجة. ماذا قالوا عن عدم نزول الدماء منها؟؟

- حمدان بكل غضب: لا تفتحي فمك يا فاجرة!!

- هي تبكي: هل جننت؟؟ أنا فاجرة!

فلطمها على وجهها وقال: فاجرة وعاشقة، ولن أتركك حتى أعلم من فعل معكِ هذا، وأخذ شرفك وشرف أهلك.

_ هي لا تدري ماذا يقول، سائلة: فعل إيه ولماذا تضربني؟

_ هو: أنتِ لسة شفتي ضرب وعذاب؟ متكبرة على لماذا؟ يا فاجرة!!

لقد جلبتِ العار إلى أهلك وأخيكِ المتكبر، يكلمني بكبرياء دائما!!

وحينما يعلم أن أخته فاجرة ولطخت اسمه بالعار، سوف أذله وأكسر أنفه، لقد قام بضربها مرة أخرى في جميع جسمها: من الذي اعتدى عليكِ ولطخ أهلك بالعار؟

_ هي في حالة ذعر تصرخ: أنت مجنون، لقد صعدت أمه وأنقذتها، وقالت: حمدان اتركها وارحل عند أبيك.

_ ميرفت بملابسها الممزقة والدماء تملاء وجهها: ماذا يقول ابنك؟

_ وماذا قالوا هؤلاء المجانين عني؟!

_ أم حمدان تنظر إليها باحتقار وتقول: يا ست أبوكِ سوف يحضر الآن، نحن ليس لنا علاقة بهذا الموضوع، هذا عارك أنتِ وأهلك. وتركتها في حيرة وذهول، هل ذهبت عقولهم جميعا؟

ولكنها كلما تذكرت الدماء، حدثت نفسها: هؤلاء جهلاء من الممكن أن تذهب عقولهم إلى أشياء أخرى، لا بد من طبيب لكي يعلموا أن الموضوع ليس به مشكلة؟

وهـذا مـن الممكـن أن يحـدث مـع كثيـر مـن فتيـات، والمشـكلة بـالطبع الخـوف أو عـدم معرفـة الـزوج؟ أوغشـاء البكـارة مـن نوعيـة نـادرة، نـوع المطـاط مـثلا؟ هي متعلمـة وتعلـم هـذا، ولكـن من يعلم هؤلاء الجهلاء؟؟

جلسـت منهـارة ودموعهـا التي تنـزف مـن بـاطن قلبهـا، ورفعـت يـديها إلى السـماء مناجيـة: يـارب بحجـم وجعي، وذلي، وكسـري، وحزني، وهمي، أحتاجـك وأكثر، لـيس لي غيرك أن ترحمني مـن هذا البلاء.

وصـل عـلاء وأبـوه لبيـت العمـدة وملامـح القلـق ترتسـم على وجوههم خوفا من أن تكون ميرفت حدث لها مكروه.

_الحاج شاكر في رجفة: ماذا حدث يا عمدة؟

الخفيـر يقـول كلـم العمـدة الآن للأهميـة والوقـت متـأخر يـارب يكون خيرًا؟

_ الضـابط: أوعـى يكـون حمـدان أغضـب ميرفـت أنـا عارفـه غشيم، أحبسه.

ودخـل حمـدان ينتظـر الوقـت لكـي يتشـفى بهـؤلاء القـوم المتكبرين: بـلاش هـذه النعـرة الكذابـة، بـدل مـا تتكبر علي وعلى غيري، اذهب لأختك التي جلبت العار وسوف تفضحكم.

_ الضابط محمر الوجه، وبصوت عال: ماذا يا كلب؟

_ حمدان: الكلب الذي لا يدري ماذا فعلت أخته الفاجرة.

_ العمدة يصرخ بوجه حمدان بعدم الثرثرة.

_الحاج شاكر في ذهول، وقلق، وخوف: إيه الحكاية يا عمدة؟!

_ العمدة في استحياء شديد: مصيبة كبيرة حلت علينا جميعًا يا حاج شاكر، أنا لا أعلم ماذا أقول، وشاكر وولده تحطمت أعصابهما، ماذا حدث؟ هل ماتت ميرفت؟ تكلم يا عمدة. يقولها شاكر بصوت هزيل ضعيف.

_ العمدة: بنتك يا شاكر جلبت لك العار، أختك يا حضرة الضابط، لم تكن بكرًا عذراء، شوف مين ضحك عليها ولطخ اسمك بالعار، وأخذ شرفها وشرفكم..

وفاطمة الداية أكدت لينا الخبر عندما كشفت عليها حتى لا نظلمها.

انقطعت أنفاس الأب وعرق جبينه وهو يجلس على الأريكة، لا ينطق، إنها المصيبة التي حلت عليه، وعلاء يصرخ كالمجنون، لقد تم تصديق ثرثرة الداية حتى المتعلمين أثناء

المصيبة تذهب عقولهم، أين هذه الفاجرة الخاطئة؟ وأخرج مسدسه فقام العمدة بأخذ المسدس منه وقال له: هل جننت؟!! سوف تفضحنا أمام الناس، اصبر حتى نرى حل.

_ الأب بصوت يكاد لا يسمعه أحد وهو يرتعش من الحسرة والموت البطيء، الذي أصابه، الرجل يحتضر: يابني اذهب في هدوء وأحضر عارك دون أن يسمعك أو يراك أحد وخذها إلى البيت.

لقد قام الضابط الذي كان يصب منه العرق من جسمه، وذهب إلى غرفة ميرفت ودخل عليها وهي تنزف الدماء من وجهها وجسدها من ضرب حمدان.

فأسرعت إلى أخيها لتقول: أنقذني من هؤلاء المجانين، يا أخي، فضربها على وجهها وقال: جبتِ لينا العار يا ميرفت.

وهي تقطع شعرها: أختك شريفة وأشرف من هؤلاء جميعهم الكذابين.

العار العار يا ميرفت، أخوكِ انكسر ظهره اتحطم حرام عليكِ.

لقد سحبها من شعرها مثل البهيمة، وهي تصرخ: والله ما أحد لمسني، أحضر لي الطبيب ليخبرك بالحقيقة.

وصل إلى أبيها فنظر إليها أبوها بغل وكره يريد أن يقتلها يريد أن يحرقها لولا الموجدون وقلة الحيلة التي بها، هو يفكر بقتلها، ولكن حينما يصل بيته سوف يفعل هذا الجرم.

_ الأب بصوته الضعيف من الحزن: ياريت يا عمدة لا أحد يتحدث في هذا الموضوع، والدموع في عينيه من الحزن والكسرة التي نزلت عليه وهو الشخص المتكبر..

هيا يا بني ولكن أسندني، أنا غير قادر على النهوض والسير.

لقد نادى حمدان عليهم جميعًا بصوته الغليظ، قبل أن يغادروا المكان، وقال: يا علاء بيه.

فنظر إليه علاء وأبوه، ولكنه هذه المرة كان مكسورًا مذلولاً أمام حمدان خوفا من الفضيحة أن تخرج من منزله!!

حمدان بصوتٍ عال: نسبك يا باشا غير مشرف لي الآن، وأختك طالق طالق، أنا كده برأت من عارها، باقي عارك أنت، سوف نرى ماذا تفعل؟ ومع من فضحكم؟؟

_ ميرفت تتوسل وتستعطف الجميع: حرام عليك.

أنا أحتاج لطبيب يكشف عليّ، ليعلم هؤلاء الجهلاء أني أشرف منهم جميعًا، تصرخ وتبكي وأخوها يجرها من شعرها وأخذها وركب السيارة دون رحمة أو شفقة.

وحينما وصل إلى المنزل وقع الأب منكبًا على وجهه بالأرض من هذه الصدمة التي تم تصديقها وظن أنها جلبت له العار، صرخ الضابط بصوت عال: أبي أبي.

قال له الأب وهو يحتضر: أنا سوف أموت يا بني ولكن اسمعني جيدًا، وهو في أنفاسه الأخيرة يقول: اغسل عارك وشرفك وقم بذبحها واذبح عشيقها حتى تستطيع أن تعيش بين الناس مرفوع الرأس.

ومات الأب، الابن يصرخ: أبي أبي آه.....

فقام مسرعا إلى ميرفت وقام بضربها وهو يقول: أنتِ السبب، موتي أبي وجلبتِ لنا العار سوف أذبحك.

وهي تصرخ على أبيها وعلى نفسها، ثم جرها إلى غرفتها وقام بربط يديها وأرجلها خوفًا من الهرب لعشيقها مثلا. هكذا كان يظن هذا الجاهل.

ولـم يفكـر أن يحضـر طبيبًـا لـيعلم مـاذا يقـول، وأغلـق البـاب علـى ميرفـت، ونظـر للخادمـة وهـو مسـعور هـائج وهـددها: إذا خرجت سوف أقتلك.

ذهب مسرعًا إلى أبيه المتوفى حزنا وقهرًا على ما حدث.

وبعـد الانتهـاء مـن دفـن أبيـه وأخـذ العـزاء مـن أهـل القريـة، الفـرحين في مـوت هـذا الرجـل الطـامع، الظـالم، الجميـع فـرح وقال أحدهم: يارب أحرقه في نار جهنم.

- لقـد ذهـب عـلاء الـذي فقـد عقلـه إلى ميرفـت مـرة أخـرى والشـر يملأ عينيـه وقـال: مـن فعـل معـكِ هـذا؟ مـن الـذي أتـى لنا بالعار؟

وكـان يضـربها، ويصـرخ: آه الكـلاب فرحـت في مـوت أبـي، وبعـد أن هـدأ لحظـات، قـال: اعترفي مـن فعـل، وسـوف أزوجـه لـكِ دون أن يعلـم أحـد، وسـوف نعلـم الجميـع، أننـا غصـبنا عليـكِ بهذه الزيجة الشؤم.

_ هي تصـرح بصـوت مبحـوح: مـا أحـد لمسـني أنـا أختـك المتربيـة حرام عليك أحضر لي طبيبًا، وأنت تعرف الحقيقة.

_ هو بصوت مكتوم خوفا من ثرثرة الجميع:

طبيب! أنا ناقص فضائح وجرس، وبعدين فاطمة الداية كشفت عليكِ أحسن من أطباء المحافظة، عندها سبعين سنة وخبرة، هي ست وعارفة كل شيء.

"يا له من جاهل في صورة متعلم"

_ هو أخرج المسدس وقال: من فعل؟

_ هي: اقتلني، والله ما أحد لمسني، محتاجة طبيب.

صمد برهة وقال: لقد علمت من فعل، خالد بن حامد، هو من أتى إلى هنا ليتزوجك هو بالتأكيد.

لأنه يعرفك وكان معكِ في الجامعة وطبعًا أحبك، أكيد عشان كده أصبح جريئا وجاء إلى هنا بكل جرأة وعدم خوف، ليطلبك للزواج وكان يتكلم بثقة عمياء.

_ هي تصرخ: هل اختل عقليًا أخوها؟ ومن الظلم الذي حل بها، أخي حرام عليك هذه أوهام لدى الجميع أنا ليس بي مكروه.

_ هو في حالة جنون هستيري: سوف أقتله، أما أنتِ لازم أعذبك قبل موتك أيتها الفاجرة، هو خالد الكلب؟!

وكأنه يقنع نفسه أن فاعل هذه الخطيئة خالد والتي لا توجد إلا في عقله وغيره من الجهلاء.

وجلس يفكر ويفكر وشياطين الشر تحوم فوق رأسه إلى أن وصل أخيرًا إلى أن يتخلص من هذا العار بقتل أخته، والذي لا يوجد غير عقله المتحجر، ولو أعطى لنفسه برهة من الوقت حتى يراها الطبيب ويكذب هذه الوساوس والظنون، ولكن لقد فقد عقله، وفقد بصيرته، ولا يرى غير قتل ميرفت أخته المسكينة، وينفذ وصية أبيه الجاهل.

وذهب مسرعا بعد أن أحضر سمًا قاتلا شديد القتل، ووضعه لها في الطعام ونادى الخادمة وقال: اذهبي إليها وفكي قيودها واجعليها تأكل وتشرب.

لقد قرر أن ينهي حياة أخته التي ليس لها ذنب غير أنها وقعت بين إما جاهل، أو مريض نفسي، أو ظالم لنفسه، من ينقذك أيتها البريئة؟ من يأتي إليكِ طائرًا أو سابحا؟ من له القوة على تحطيم أسوار جدران بيتك العالي ويحملك فوق ذراعيه، وينقذك وداخل قلبه يحفظك، من غيرك يا حبيب القلب؟ أين أنت يا خالد؟

_ الخادمة: ربنا يخليك يابني هذه أختك مسكينة ومظلومة.

_ هو: اذهبي إليها، ظنت هذه المربية المسكينة أنه أفرج عن أخته، تاركها لتأكل وتشرب دون المساس بها.

وذهبت المربية مسرعة فرحة، إلى ميرفت لتقول: أخوكِ سوف يفرج عنكِ.

قالت بغرابة: كيف هذا؟ هل علم أني بريئة؟؟ أرسلني لفك قيودك يا ميرفت، وهذا الطعام والشراب لكِ، قومي الحمد لله يمكن عرف إنكِ مظلومة.

لقد دخل الشك قلب ميرفت، وبعد أن فكت قيودها بمساعدة المربية..

_ ميرفت وهي منهكة في حالة إعياء شديد، وعلامات الضرب ظاهرة على جسدها وملابسها الرثة، ودون طعام منذ يومين لم تطعم.

حينما تراها لا تعلم هل هي ميرفت زهرة الوادي من جمالها، حينما كانت تضحك كأنه نغم وورود، لقد انتهت تحطمت، أصبحت كامرأة في السبعين من الظلم الذي نزل عليها:

قالت بصوتها اليأس الضعيف أحضري لي ملابس، فملابسها امتلأت بالأتربة فهي منذ يومين أو أكثر لم تغتسل أو تأكل الطعام.

لقد قامت واغتسلت، وبدلت ملابسها، كأنها تودع الحياة، وقالت أحضري لي ورقة وقلمًا بسرعة وأغلقي هذا الباب وكتبت. "بسم الله الرحمن الرحيم"

"خالد أنا بموت كل دقيقة تمر على حياتي أنا مظلومة يا خالد، لقد انتهت حياتي لا بد أن أبرئ نفسي من هذه التهمة، التي لا أعلم كيف ألصقت بي وصدقوها عني، وهذا الظلم البين من هؤلاء الجهلة، ومنهم أهلي، حاول أن تفعل المستحيل حتى تظهر براءتي أمام الناس وأمام أخي..

والله يا خالد لا أحد لمس يدي ولا كلمني في حياتي وأنت تعلم من هي ميرفت، وأعلم أنك الشخص الوحيد الذي لو شقوا صدري، لا يجدون غيرك به، وإلى أن نلتقي في الدنيا، إذا أنقذتني أو في الآخرة إذا لم تنقذني..

حاول أن ترسل لي طبيبًا بأسرع وقت لكي يكشف عليّ وينقذني وحتى يعلم أخي أنه ظلمني، ويعلم الجميع أني مظلومة، أنقذني يا خالد، ليس لي أحد غيرك بعد الله أنقذني، أنقذ ميرفت.....

بالفعل من يستطيع أن يحطم الجدران ويأتي ليحمل محبوبته غير عاشق، حبيب من غيرك يا خالد، ولكن هل

تـأتي؟ أم لا تبتعـد عـن روحـك، كانـت لـك عشـقا وروحًـا، هـل تغيرت بعدما فقدها؟

نظـرت إلـى المربيـة قائلـة: اسـمعيني جيـدًا، أنـا أعلـم أنـكِ تحبينني مثل أولادك.

_ الخادمـة تبكـي، إنهـا تحبهـا حبـا جمًـا: أنـتِ أكثـر مـنهم يـا ميرفت.

_ ميرفت: اقسمي أنكِ لا تخبرين أحدًا بهذا.

_ الخادمة: وحياتك وحياة أولادي لا أخبر أحدًا، ماذا بعد؟

_ ميرفـت: هـذه الورقـة، اذهبي بهـا إلى الأسـتاذ خالـد المحـامي، أنـتِ تعلمـين منزلـه طبعًـا، ولـو لـم تجديـه، اذهبي إليـه في أي مكان هو موجود به ولكن بأسرع وقت.

_ المربيـة في خـوف وغرابـة: ميرفـت هـل غلطتي مـع المحـامي؟ فهي تعلم الموضوع، كأنها صدقت ما سمعت عنه.

_ ميرفـت نـاظرة إليهـا: أنـتِ ربيتني أحسـن تربيـة أنـا أفعـل هـذه الخطيئة؟

_ المربية: لماذا أذهب إلى خالد؟

_ ميرفت: يا دادة، خالد هو الوحيد الذي يستطيع أن يأتي بطبيب من المحافظة، لأنكِ إذا ذهبتِ لتحضري الطبيب أخي سوف يقتلك، أو الطبيب سوف يرفض أن يأتي معكِ، وخالي غير موجود في المحافظة، أنا سألت عليه قبل هذا الزواج الشؤم، قالوا إنه طلب النقل، وفعلا تم نقله إلى القاهرة.

أما خالد فمحام معروف وعنده من المعارف الكثير وسوف يأتي بالطبيب، متأكدة من ذلك.

_ المربية: كيف هذا؟ أخوكِ إذا رأى خالد سوف يقتله، هو يظن أن خالد من فعل هذه الخطيئة.

_ ميرفت: يا دادة الأهم عند أخي أن تظهر براءتي من هذه المصيبة، وأظهر بين الناس الشريفة التي لا غبار عليها، هذا هم أخي..

وإذا قال الطبيب إن أختك لا يوجد بها مشكلة وإنها بكر عذراء وأشرف من الجميع، فسوف يفرح ومش بعيد يوافق على زواجي من خالد في المستقبل، وهو من أنقذه من هذه الفضيحة التي ليس لها أساس ولا توجد إلا في عقل أخي...

_ المربيـة: أخـوكِ ممكـن يشـك في الطبيـب ويقـول اتفـق مـع خالد.

_ ميرفـت: يـا دادة أولا خالـد سـوف يـأتي بطبيـب معـروف لـدى الجميـع، ثانيًـا أخي إذا فكـر في هـذا فسـوف يقـول اذهـب إلى أكبـر الأطبـاء في العـالم لتتأكـد أن أختـك شـريفة ولـيس بهـا مشكلة.

فهمت المربية ماذا تقصد ميرفت:

سوف أذهب إليه حتى إذا كان آخر الدنيا.

_ ميرفت: الورقة لا أحد يراها غير خالد.

_ المربيـة: سـوف أضـعها في مكـان مسـتحيل يراهـا غيـر خالـد، الطعـام يـا ميرفـت ياريـت تـأكلي وتشـربي عشـان خـاطري والـدكتور حينمـا يصـل يشـوفك أحسـن مـن كـده، وخالـد معـه، وجهك أصبح مصفرًا من الحزن وعدم الطعام.

_ ميرفـت رغـم أنهـا لا تسـتطيع أن تأكـل لقلـة نفسـها، هـي في حالـة صـعبة، تخيلي أنـك في هـذا الموقـف وهـذا الظلـم الـذي وقع عليها.

ولكنها فكرت، سوف يأتي الطبيب لا بد أن تطعم حتى يستطيع الكشف.

هي الآن لا تستطيع الوقوف على قدميها من التعب، المرض، والجوع، والحزن تكاثرت المصائب عليها.

فعلا لابد أن تأكل حتى تأتي لها القوة لمواجهة ما هو قادم، وتذكرت لقاء خالد فهو سوف يأتي مع الطبيب، فرحت ونظرت إلى الطعام.

هي جائعة بالفعل، جلست أمام الطعام، وقالت: اذهبي أنتِ يا دادة وأعطت لها مبلغًا من النقود حتى تتمكن من التنقل بسيارة إذا لم تجد خالد في بيته، اذهبي إليه في عمله.

وذهبت الخادمة مسرعة وقد رآها الضابط الذي يجلس ينتظر موت ميرفت أخته، فهو الذي وضع السم في المأكل والمشرب ولم يره أحد:

فقد رآها الضابط ونادى عليها سائلا: أين تذهبين؟

_ المربية: سوف أحضر بعض الأشياء من الخارج لميرفت.

_ هو: أشياء إيه؟ سائلا: أهي أكلت؟؟

_ نعم أكلت ومبسوطة وقالت أخيرًا أخي علم أني مظلومة.

فقام بتفتيشها.

_ هي باكية: لماذا يا بني؟

_ هو بغضب: اذهبي.

_ هي: حاضر. وذهبت مسرعة إلى خالد في البيت، فلم تجده، وأخذت عنوان عمله في المحافظة التي كانت تبعد عن القرية مسافة ليست بالبعيدة.

وفي هذا الوقت كانت ميرفت انتهت من الطعام والشراب، إنها لم تذق الطعام منذ أيام، لقد انتهت وجلست في انتظار الحبيب في شوق فرحة أنها أرسلت إلى خالد خطابًا، ليتمكن من إحضار طبيب لها لكي يبرئها من هذه التهمة وتحلم بموعد وصوله.

وفجأة صرخت ميرفت تمسك بطنها واحمرّ وجهها وجحظت عيناها ووقعت على الأرض تتألم وتصرخ هل من مغيث؟ هل أحد ينقذها؟ أين أنت يا حبيب القلب لتنقذ محبوبتك، من يسمع صوتك يا ميرفت؟ لا يوجد غير شيطان في صورة إنسان، ينتظر موتك، الفتاة تتلوى والأنفاس تتوقف والروح الطاهرة تخرج ببطء.

لا يوجد من ينقذك، الأخ قلبه مثل الحجر.

ماتت ميرفت.

ماتت دون ذنب.

ماتت المسكينة دون سبب.

ماتت وهي تحلم بأن يسمعها أحد من الظلم الذي حل بها بسبب الجهل والتخلف الذي يعيش في عقول الناس.

ودخل أخوها الجاحد ليجدها ملقاة على الأرض ميتة ظلمًا، وحملها ووضعها على السرير دون رحمة أو شفقة حتى لا أحد يعلم كيف ماتت..

ونادى على الحارس، وقال: اذهب إلى المغسّلة وإلى المنادي لينادي أهل القرية، بأن ميرفت بنت الحاج شاكر ماتت من المرض والحزن على أبيها.

وهي التي ماتت بكرًا عذراء، وأقسم بالله أنها أطهر من في الأرض، هذا ما قاله خالد حينما قرأ الخطاب.

عندما وصلت الخادمة إلى خالد المحامي وقرأ الرسالة، وقال اذهبي أنتِ، سوف أحضر الطبيب وآتي خلفك بأسرع وقت، وبلغي ميرفت أني حياتي سوف تكون أقل ثمن

لإنقاذك، وسأفعل المستحيل لتبرئتها وسط الناس وأمام أخيها الجاهل.

وذهبت الخادمة مسرورة لتخبر ميرفت أن خالد سوف يأتي هو والطبيب، وصلت البيت لتجد جموعًا من الناس، تقف عند منزل الحاج شاكر فتقول: ماذا حدث؟

قالوا لها إن ميرفت ماتت، صرخت الخادمة، وذهبت إلى ميرفت وحضنتها وهي تصرخ وتقطّع شعرها وتلطم خديها، وتقول: من قتلها؟

كيف ماتت وهي التي تركتها بحالة جيدة تشرب وتأكل الطعام.

تصرخ هي تعلم أن ميرفت مظلومة، ولكن ماذا تفعل، فهي امرأة مسنة فقيرة تبحث عن لقمة العيش لأولادها فهم خمسة أفراد.

وجهزوا جثة ميرفت إلى مدفنها الأخير في مقابر العائلة مع أمها فكانت دائما تقول أحب أن أدفن مع أمي إذا كتب لي الموت..

كانت هذه وصية ميرفت، والتي علمت بهذه الوصية، هي المربية نفسها، رغم حالتها السيئة، من الحزن على موت ميرفت..

وصل خالد وهو يحدث نفسه كيف هذا؟ أهم جهلاء؟ كيف يصدقون أن ميرفت تفعل هذه المصيبة؟ هل هذه الداية وزيرة الصحة؟ حتى تتلاعب في عقول الجميع، ويتم تصديقها، وهي كذابة لا تعلم شيئًا، وصل خالد ومعه الطبيب ليجد جثمان ميرفت محمولا فوق الأعناق إلى المقابر..

نظر عن بعد سائلا: من المتوفى يا قوم؟

يقول أحد الأهالي وهو حزين مثل باقي القرية فالجميع كان يحب هذه الفتاة.

قال: إنها ميرفت بنت الحاج شاكر، لقد ماتت حزنًا على فراق أبيها.

- صرخ خالد من داخل السيارة صرخة يسمعها الجنين في بطن أمه من النار التي تخرج منه، ولكنها صرخة مكتومة في باطن قلبه، سمع الخبر غير مصدق، إنه الذهول، إن عينيه

المتحجرتين لا تريان ولا يسمع، لقد مزق قلبه على فراق ميرفت..

لقد ذهب عقله كالمجنون، وحاول أن يترك السيارة يهرع إلى الناس ليوقف الجمع، ويخرج جثمان ميرفت ويكشف الطبيب عليها، ويصرخ في وجه أخيها ومن معه، أنها بريئة من هذه التهمة.

ولكن الطبيب في ذعر: هذا لا ينفع يا خالد، الوقت غير مناسب، وأنت لست بزوجها ولا أخيها، وخالد يصرخ ويلطم خديه: لقد قتلت ظلمًا، ماتت بسبب الجهل، هذا حرام، لقد ذهب الطبيب، وخالد إلى بيته ممزق الوجدان شارد الفكر، يبكي ويفكر ماذا يفعل وهو يعلم أن ميرفت قتلت.

- الضابط يجلس يأخذ عزاء أخته، وسط أكابر القوم، كأنه لم يرتكب جرمًا، كأنه لم يقتل، يذبح أخته المسكينة، وجاء حمدان وأبوه، وسلم عليهما علاء الضابط..

وقال العمدة بصوت منخفض في أذنه: تسلم يا حضرة الضابط رفعت رأسك وأنقذت شرفك، ولكن ياريت تكون عرفت من ضحك عليها وفعل هذا؟

عـلاء: بعـدين يـا عمـدة. هـو لا يريـد أن يـرى العمـدة أو ولـده ويمكـن يفكـر في الانتهـاء مـن حياتهمـا فيمـا بعـد، ولكـن جمـوع الناس تجلس حوله لا يريد أن يسمع أحد منهم شيئا.

وبعـد انتهـاء مراسـم العـزاء، وعـلاء الـذي يفكـر كيـف يـتخلص مـن خالـد ليسـتريح، ولكـن دون علـم أحـد، انتقامًـا لشـرفه فهـو مازال يعتقد أن أخته خاطئة والجاني خالد.

واتفـق مـع مجـرم داخـل السـجن، فهـو البلطجي المعـروف لـدى الجميع وينفذ حكمًا.

قـال: سـوف أخرجـك مـن السـجن أيهـا الأعـور، وهـذا اسـم الشـهرة فهـو رجـل أعـور العـين فقـدها في معركـة مـع مجـرم مثله، ولكن دون علم أحد، ولي شرط.

_المجرم فرج عبد السلام الأعور: أنت تأمرني يافندم.

_الضابط: فيك أن تقتل شخصًا؟

_المجرم وهذا عمله: شخصًا واحدًا!!

_ الضابط: نعم.

وافـق المجـرم أن يقتـل خالـد نظير حريتـه، أخـذ اسـمه وعنوانـه: سوف أنهي حياته في أسرع وقت.

_ الضابط: أيها اللص لا أحد يعلم مهما كان، وإذا علم أحد بهذا الأمر سوف تنتهي حياتك.

وفعلا عزم الضابط على قتل خالد المحامي، ظنًا أنه من ارتكب مع أخته هذه الخطيئة..

- جلس هذا الجاهل الذي قتل أخته ظلما وجهلا، ينتظر خبر مقتل خالد.

وخالد الذي قدم بلاغًا رسميًا متهمًا الضابط علاء بقتل ميرفت أخته، ولا بد من استخراج الجثمان وتشريحه، حتى يبين سبب وفاتها، يحاول أن يظهر براءتها من التهمة التي بدأت تنتشر بين الناس بعد علمهم من حمدان الذي أذاع الخبر تشفيًا وانتقاما من الضابط..

وعلم الضابط بهذا البلاغ، وجن جنونه، الفضيحة وثرثرة الناس، وذهب إلى بيت خالد والشرر في عينيه، لم يجده، ذهب إلى عمله، ورفع المسدس في وجهه، مهددًا بقتله لولا الموجدون أنقذوا خالد من يده وتوعده بالقتل.

وكتب خالد محضرًا بما حدث، ضد الضابط في قسم الشرطة الذي فقد وعيه بسبب الفضيحة واكتشاف أمره..

وذهب علاء إلى الأعور هذا المجرم، الذي رفض قتل خالد، حينما علم أنه شخص يساعد أهله، وخالد لا يعلم أنه بيت مجرم.

وكان لديه أم لا تتحرك لكبر سنها، وبنتان صغيرتان يتيمتان، يسكنون بجوار مكتب المحامي الذي يعمل به خالد وقالت أم هذا المجرم، حينما خرج من السجن: يا ابني إحنا لا نملك شيئا ولولا شاب محام يعمل قريبًا من البيت لأصبحنا موتى من الجوع، والناس هنا لا تعلم أنك ابني وهؤلاء أولادك.

حينما تركنا الحي القديم، فرح الجميع بدخولك السجن، واقتربوا من حرق البيت الذي كنا نسكنه، خفت على أولادك الصغار.

وتركنا كل شيء ولجأنا إلى هنا، سكننا هذه الغرفة، نحمد الله على كل شيء، هؤلاء من نسكن حولهم طيبون منهم من يعلم بحالنا يساعدنا دون مقابل، ولكن هذا المحامي أكثرهم مساعدة...

هذا الشاب يأتي كل حين وحين معه من الخير ما يكفينا لمدة أسبوع أو شهر، ويساعدنا دون مقابل. فقال: ما اسمه حتى أشكره؟

قالت: خالد.

- قال: سوف أذهب إليه، وعلم أنه هو الشخص المقصود قتله من أوصافه واسمه بالكامل، ومكتبه، فهو أخذ جميع المعلومات عنه، وجلس فرج الأعور مع خالد وشكره على مساعدته لأمه وأولاده، وعلم أنه شخص مهذب خيّر، وخسارة أن يقتل بدون أسباب، لماذا يقتل أصلا؟

ولكنه قص هذا السر لخالد أن ضابط علاء اتفق معي على تهريبي من السجن لقتلك.

ضحك خالد مذهولا: لهذا الحد وصل تفكير هذا؟

_ فرج: أستاذ خالد لماذا هذا الشخص يريد قتلك؟ وأنت شخص لم أرَ منك غير الحب والخير للآخرين.

- خالد بغرابة: والله يا أخ فرج لا أعلم ولكن هذا الشخص مريض نفسي، وأنا أشكرك على هذا الموقف.

- فرج: أستاذ خالد أنا اللي أشكرك..

_ خالد: يا فرج لازم تسلم نفسك، وسوف أقف معك بقضيتك ونعيد الحكم بها في استئناف جديد.

_ فـرج: شـوف أسـتاذ خالـد، طالمـا هـذا الضـابط مسـتمر في القسم لم ولن أسلم نفسي أبدا؟

وأعـدك إذا تـم نقلـه أو سـجنه سـوف أسـلم نفسـي وأشـهد عليه بما حدث.

_ خالد: أعدك أن أسجنه عن قريب.

وذهب علاء إلى فرج في بيته الذي كان يعلمه.

_ الضـابط متضـايقا: يـا أعـور لمـاذا لـم تقتـل خالـد المحـامي حتى الآن؟

_ فرج: يا فندم لم تأتِ لي الفرصة لقتله حتى الآن.

_ الضـابط مكشـرا عـن أنيابـه: فرصـة يـا حيـوان، أنـت مـن شـهر وأنـت خـارج السـجن، أنـا غلطـان إني اعتمـدت على جبـان مثلـك، والله سـوف تعـود إلـى السـجن، وحيـاة أمـك سـوف أعذبك.

_ فـرج يضـحك سـاخرًا: أنـا خـلاص يـا باشـا لـن أعـود أبـدًا إلى السـجن، ولـن أقتـل هـذا المحـامي، وأنـت لـو لـم تـذهب الآن، وتنساني سوف أفضح أمرك.

_ علاء احمر وجهه ووانتفخت عروقه وأسرع بإخراج مسدسه من جيبه.

ولكن المجرم كان أسرع من الضابط، وأخرج مسدسه هو الآخر ووضعه في وجه الضابط.

الاثنان ينظران لبعضهما بغضب.

_ فرج بعينيه القاتلتين: يا باشا بلاش تتصرف بحماقة، إحنا حافظين بعض، والمحامي هذا أشرف منك، لو لم تذهب الآن ستنتهي حياتك.

وذهب علاء في حسرة غاضبًا والنار كادت أن تخرج من عينيه من الغيظ على خيبة أمله في قتل المحامي، وهروب هذا السجين من عنده.

وهو من ساعده على الهرب وإذا اكتشف أمره كارثة، ولا بد أن يكتشف هروبه، هو معلوم لدى الجميع.

جلس يحادث نفسه سائلا: ماذا أفعل؟ لقد تكاثرت المصائب فوق رأسي هذا ذنب من؟

يا إلهي لقد رحل أبي تاركا لي هذه المصائب، تذكر ميرفت، هل ظلمتها؟

هل قتلتها دون أن أعطيها برهة من الوقت لتدافع عن نفسها؟ وفي لحظة صراع مع نفسه الشريرة، سائلا نفسه جميع الأسئلة التي تكاد أن تفجر رأسه، حتى نزلت دمعته على خديه.

ولكن انتصرت النفس الخبيثة، وقال: هي تستاهل ما حدث لها، إنها الأخت التي جلبت العار والفضيحة..

وكان النقيب محمود الشيخ قد علم أن الرائد علاء قام بتهريب فرج من السجن، وهو المجرم الذي ينفذ حكمًا.

ذهب النقيب إلى المأمور، وأخبره بما علمه عن علاء وتهريبه لأحد السجناء فهذا ليس بالسجين العادي بل هو مجرم عتيد.

جميع من في القسم فرح بنهاية علاء، المتكبر، المغرور، والذي كان يستغل هذه الوظيفة في أذى الناس وظلمهم، اعتمادًا على السلطة التي منحها الله له وأموال أبيه الكثيرة التي ظن أنها لن تبيد..

_ المأمور كان دائمًا يهددنا بسيادة العميد خاله، على الرغم من أن العميد طارق ذو أخلاق، و لا يوافق على هذه الأفعال، ولا أحد فوق القانون، ثم إن سيادة العميد تم

نقله إلى القاهرة ولو كان موجودًا لكان أول من أسرع بإلقاء القبض على الرائد علاء.

والآن موجود أكثر من محضر ضده، وإذا ثبت أن علاء متورط في تهريب فرج المجرم، وقتله لأخته، خالد المحامي قد قدم محضرًا يتهمه أنه هو من قتلها.

اذهب يا حضرة النقيب، ومعك قوة واقبض على الرائد علاء، لكي يتم التحقيق معه في هذه التهم.

فرح النقيب محمود: تمام يافندم.

أما خالد الذي ذهب إلى العميد طارق في القاهرة وقص له ما حدث، وأسرع معه بعد أن علم بمقتل ميرفت، وأن أباها مات منذ فترة، فهو لم يعلم شيئًا.

من سوف يخبره؟ فالعلاقة مقطوعة بينهم، وحزن كل الحزن على ميرفت التي كان يحبها حبا جمًا، وأنهى الأوراق في مديرية الأمن بنفسه.

وعرض الأمر على النيابة العامة التي أمرت باستخراج جثمان ميرفت للكشف عليها ومعرفة سبب الوفاة، لقد وصل الطب الشرعي ومعهم الشرطة، الكل مترقب وتسربت الأخبار إلى

القرية وفي وسائل الإعلام عن مقتل عروس في غموض، لماذا قتلت؟ أو لماذا انتحرت؟

ومن قتلها؟

ووصلوا المقابر، وهناك أحد الرجال التابعين لعلاء يغفر القبر خوفا من أن يحدث شيئا ما.

لقد علم علاء أن الشرطة ذهبت إلى المقابر لاستخراج جثة أخته، وأشهر مسدسه وأسرع إلى المقابر ووصل يلهث مهددًا الجميع من يفتح قبر أختي سوف أطلق عليه النار..

ولكن تم القبض عليه من قِبل النقيب محمود الشيخ، وأخذ المسدس من يده قائلا: الموضوع انتهى يا علاء بك، مئات المحاضر قدمت فيك، وتهريبك لفرج المجرم وتلفيق قضايا ظلم للناس، وضياع مستقبل شباب القرية واحتمال يكون موت أختك بسببك، والناس التي كانت تخشاك لأنك ضابط الشرطة، والشرطة تخشاك عشان خالك سيادة العميد فاكرين أنه يحميك.

_ علاء متعجبًا: هل جننت يا حضرة النقيب؟

لقد سمع العميد طارق من الخلف، وقال: صدقت يا حضرة النقيب أنا السبب ولكن دون قصد مني، وهذه نهاية التكبر

والظلم والتربية السيئة، هو نشأ على دماء الفقراء، كان أبوه ظالما جبارًا اعتقد أنه يمتلك الكون.

وتم القبض على الرائد علاء وقام الطب الشرعي باستخراج جثمان ميرفت لمعرفة سبب الوفاء.

وبالتأكيد سيعلم الأطباء عندما يتم تشريح جثمان ميرفت ماذا حدث لغشاء البكارة وهل الفتاة بكر عذراء..

وتم القبض على حمدان وأبيه العمدة وعلى هذه الداية المجرمة وجميع من له علاقة، ومن ساعد الرائد علاء في جرائمه، الكل وقف أمام القاضي.

لقد ذكر خالد الجميع في محضره الشهير، وعلم من المربية حينما قصت ما حدث لميرفت من يوم زواجها وما قبله حتى يوم موتها، من ذل، وعذاب، وألم، وإهانة، الآن تجرأت هذه المربية بعدما فقدت ميرفت أحب الناس إليها، وجاءت لتشهد بذلك.

أصبحت قضية رأي عام، يوجد في المحكمة وسائل الإعلام والتلفزيون، ينتظرون بترقب كيف ماتت العروس؟ ومن قتلها؟ ولماذا قتلت؟

وقد علم خالد من صديقه الطبيب أن ميرفت ماتت وهي عذراء بكر، وأن غشاء البكارة من النوع المطاط، وماتت مسمومة بأشد أنواع السم.

رغم ظهور علامات الفرح والسرور على وجه خالد لبراءة ميرفت من هذه التهمة الكاذبة، ولكنه يبكي من داخله ويصرخ، يريد أن يسمعه العالم أن ميرفت بريئة.

ولكنه تذكر المحكمة والمحضر الذي يضم جميع من اشترك في موت ميرفت، ولا بد من العقاب لمن تسبب بموتها، وهذا سر بينه وبين الطبيب الصديق كيف يفضح أمره، وأراد أن يفرحه فهو يعلم قصة حبه مع ميرفت من قبل..

صمت خالد عن الكلام حتى يصدر حكم المحكمة بعد المرافعات الآتية من الجميع فهناك، متهمون معهم من هو يدافع عنهم.

ونادى المنادي على حمدان، ووجهت له الأسئلة، لماذا اتهمت الضحية أنها غير بكر وليست عذراء دون علم أو الكشف من طبيب متخصص؟؟

_ حمدان بجهل: يا فندم، لقد نمت معها كأي عريس ليلة الدخلة، لم تنزل دماء منها مثل كل العرائس.

قهقه من كان في القاعة، ثم أنا طلقتها ليلة الدخلة، ورحلت مع أهلها يعني أنا لم أرها منذ ذلك اليوم.

- القاضي: وأنتِ يا ست فاطمة يا داية، لماذا ادعيتِ على المجني عليها أنها غير بكر وفقدت عذريتها دون علم؟ هل معكِ شهادة من وزارة الصحة بممارسة الطب؟

_ الداية: يافندم هذه مهنة أجدادي ورثناها عنهم، وحينما رأيت ميرفت الله يرحمها وجدت غشاء البكارة غير موجود؟ كأنه مقطوع وفي هذه الحالات طبعًا السبب معلوم للجميع، أن يكون استغل شخص طيبتها وهي بالفعل كانت طيبة، وفض عذريتها..

- القاضي: لماذا لم تنصحهم أن يذهبوا إلى طبيب مختص؟

_ الداية: هذا علمي من سنين وتجارب كثيرة قبل ذلك، فمرت علي حالات كثيرة مشابهة.

- القاضي: يعني ماتت بنات كثيرة قبل ذلك بسبب جهلك وتسرعك؟

_ الداية: أهلهم يغسلون العار الذي حل بهم ولابد من العقاب.

_ القاضي موجهًا كلامه لعلاء شاكر قائلا: أنت متهم من قبل الأستاذ خالد المحامي، بقتل ميرفت أختك، وقف شخص معلوم للجميع فهو ضليع في القانون وقال: يافندم أنا محامي الرائد علاء..

لو تسمح لي أن أشرح الحقيقة الغائبة الكاملة لحضرتكم وللجميع.

أولا موكلي بريء من دم أخته، هذا افتراء من ناس حاقدة على هذا الشاب الناجح في حياته، رجل متفوق في عمله، يمتلك من الأراضي الكثير هو وأبوه من قبل، الله يرحمه كانا أحسن الناس سمعة.

- القاضي: ادخل في الموضوع.

_ المحامي هذا هو الموضوع يافندم، الحقد والغيرة من النجاح جعل الفقراء يحقدون ويحسدون النعمة التي أنعم الله بها عليهم.

لقد تزوجت ميرفت من الأخ حمدان وهي غير راضية على الزواج منه بسبب قلة تعليمه.

هو شاب جاهل علميًا، والجميع يعلم ذلك وآسف أن أقول هذا ولكن هذه هي الحقيقة، وهذا لا يعيبه فهو من أثرياء القرية، وميرفت فتاة جامعية.

ومع هذا التربية الحسنة جعلتها لم تعارض أباها ولا أخاها ووافقت على الأمر وتزوجت من هذا الشخص، وفرح بها أخوها وأبوها، كيف يقتلها وهي أخته الوحيدة؟ فكانت قرة عينه.

هذا الأستاذ خالد، مع احترامي له، يحقد على الرائد علاء وأبيه، لقد جاء من قبل يطلب ميرفت للزواج وطبعًا رفض علاء هذا النسب غير المتكافئ لعائلته العريقة..

فجعل خالد يزداد كرهًا وحقدا، وازداد هذا الكره حينما اقتحمت الشرطة منزله، لتجد كتبًا سياسية مخالفة للقانون وسلاحًا دون ترخيص.

وطبعا خالد كان يتوقع أن الرائد علاء سوف يقف بجواره لأنهم من نفس القرية.

لكن هذا الضابط الشريف كيف يقف مع رجل له توجه سياسي مخالف لأنظمة الدولة؟ خرج خالد كارها أكثر.

وتم طرده من الجامعة المحترمة، حينما علمت أنه شخص متطرف.

والآن هذا المحامي مع الأسف، يريد أن ينتقم من علاء ويسيء إلى سمعته هو وأهله، يدعي عليه أنه قتل أخته هل هذا معقول؟؟

وأكمل مرافعته قائلا: ميرفت ماتت مرضًا وحزنًا على أبيها، التي كانت تحبه حبًا جما، فهذا الأب الذي حرم نفسه من الزواج بعد موت والدة ميرفت، ليكون لها الأب والأم، كونه رجلا عطوفا، حنونا.

لقد تعاطف معه بعض الموجودين في القاعة ونسوا ظلمه، وجبروته، وغروره مع أهل قريته.

ومن أسباب موت ميرفت، الطريقة الوحشية التي تعامل معها العريس حمدان، لقد ضربها وأهانها لمجرد أنها قالت إنها مجهدة، تعبانة هذا اليوم.

وهو أول يوم زواجها، كأنها ستهرب منه. ولكن جهله وتسرعه، جعله لا يصبر عليها، هو لا يصدق نفسه أنه تزوج من هذه الفتاة بارعة الجمال، لقد ظلمها هذا الزوج بجهله.

سيدي القاضي، أما موضوع غشاء البكارة الذي ذكره الزميل في محضره ويتهم موكلي بأنه قتلها دفاعًا عن شرفه، فهذا الأمر شديد الخصوصية، لأنه عائلي وليس من حق هؤلاء أن يتحدثوا.

ميرفت رحمها الله ماتت لأسباب بعيدة كل البعد عن هذا السبب، فلنترحم عليها جميعا.

وأطالب بأشد العقوبة على حمدان بن عمدة القرية وعلى الأستاذ خالد المدعي ظلمًا وافتراء بما يتناسب من ادعاءات كاذبة على ناس شرفاء مثل عائلة الحاج شاكر المرموقة، وولده وشكرًا.

ماذا يقول هذا الرجل؟ يقولها خالد بغرابة دون أن يسمعه أحد، هذا المحامي لن يستطيع التحدث عن غشاء البكارة، لن يقول إن موكله قتل أخته، سيعدم موكله بالتأكيد، هو يريد إخراج علاء من تهمة قتل أخته فقط، ولكنه لم يذكر الداية، وما فعلته مع ميرفت خوفا من شيء ما، ولكني علمت الشيء الذي يخفيه.

فهذا المحامي من نفس عائلة الرائد علاء، من الأقرباء الذين يجلسون في المدن، ولكنه سمع بما حدث لا يريد الفضيحة لأقربائه خوفا من المعايرات..

بهذا تأكد خالد وهو يسمع هذه المرافعة الطويلة من هذا المحامي، والتي ينقصها كثير من الوضوح.

ومعه كل البراهين والأدلة التي تدين علاء، وغيره.

ونهض خالد قائلا، سيدي القاضي، حضرات المستشارين أرجو من سيادتكم التكرم بإعطائي وقتا لكي أوضح لكم الحقائق.

_ القاضي: تحدث.

_ خالد: هذه القضية بدأت منذ زمن وليس الآن، حينما قامت هذه الداية المجرمة، التي لا تجيد القراءة قط، ولكنها تفعل أشياء لا يفعلها أساتذة الطب من ولادة للنساء وختان وإجهاض إلخ، لهن.

هل هذا يعقل يا سيدي؟

نعم سيدي القاضي، في الريف يحدث كل شيء، لقلة التعليم وعدم الوعي وإهمال الحكومة في محاسبة المخطئين.

ميرفت في سن العاشرة من عمرها قامت هذه الداية بختانها دون رحمة أو شفقة كأنها ذبيحة تقطع منها بعض أجزائها؟

لقد تحطمت ميرفت وانتابها الذهول وعقدة نفسية مخيفة وخوف وعزلة شديدة، بسبب هذا الختان وهي في زهرة عمرها.

سيدي القاضي هذه المأساة تتكرر كل يوم في الريف، وتموت بناتنا في زهرة عمرهن، وفي كتمان دون معرفة الدولة، بسبب هذا الجهل الذي عشش في عقول البشر.

هل من المعقول رغم هذا التقدم الذي نراه، توجد امرأة داية تقوم بدور الطبيب!!

سيدي القاضي، لقد دب الإهمال في المجتمع، وغاب الحساب والعقاب وهذا ما وأصلنا إلى هذه الحال.

لقد ماتت ميرفت دون رحمة أو شفقة من أخيها المتكبر، الذي استغل منصبه في التعذيب والترهيب لهؤلاء الضعفاء، وأخذ أراضيهم هو وأبوه عنوة.

وضياع مستقبل أكثرهم، فمنهم من كان يحلم أن يكون ضابطا أو قاضيًا.

لقد بدأ خالد تسيل من عينيه الدموع كلما ذكر ميرفت، يالـه من حبيب يتحدى الكون من أجل إنقاذ حبيبته رغم موتها.

سيدي القاضي هذا الشخص الذي يتحدث كان من أوائل الجامعة، ورئيس اتحاد للطلبة لسنوات الدراسة، وأصبحت معيدا بكلية الحقوق، وحلمت كغيري أن أكون أستاذًا أو قاضيًا، ولكن هذا الشخص تكبر وعاند وقال من هذا الذي يصبح قاضيا؟

ابن من هذا؟ هل الفقر رذيلة سيدي القاضي؟

لقد حاربني وضاع مستقبلي، وتم طردي من الجامعة بسببه، ولفق لي قضية سلاح وكتب سياسية مخالفة للقانون، وأنا الذي درست القانون، ومات أبي من الحسرة على ضياع مستقبل ابنه، الذي جلس طيلة حياته يحلم أن يفرح به، وقام بطردي حينما ذهبت إليه لأتقدم لميرفت.

لقد شهق مثل الطفل الصغير: آه يا ميرفت، لقد أحببتها منذ الصغر، إني أعترف أني أحببتها حتى يسمع الجميع ولن أحب سواها، وهي تكبر أمام عيني، لقد كتب لنا القدر والتقينا ورسمنا مستقبلنا، ووافقت أن تكون زوجة وشريكة حياتي ومستقبلي بكل فرح وسرور.

عاند أخوها وقال: أنت ابن مين عشان تتجرأ تطلب أختي؟

وتوعدني بالعذاب والجحيم، وضيع مستقبلي، وقام بتهريب سجين، وبالاتفاق معه على قتلي، واعترف هذا الشخص لي أن الضابط علاء، هو من قام بتهريبه، وجاء ليشهد بهذا ويسلم نفسه بعد أن أقنعته أني سوف أقف في قضيته.

سيدي القاضي مئات المحاضر ضد الرائد علاء قدمت، ولقد تعرض لي في مكتبي ورفع مسدسه وهددني.

جلجل صوت خالد قائلا: سيدي القاضي هذا الشخص عديم الرحمة والشفقة، لقد قتل أخته بوضع السم لها في الطعام، وهذا تقرير الطب الشرعي يوضح ذلك.

ثم صمت برهة ناظرًا إلى الجميع وبيده ورقة، الصمت يعم المكان، ودموع عينيه الحارة تسيل على خديه، لقد أكمل خالد وقال: لقد قتلها هذا الظالم، وهي بكر عذراء لم يمسسها أحد، حتى زوجها الجاهل ظلمها، وطعن شرفها.

سيدي القاضي هذا الخطاب آخر ما كتبت ميرفت تطلب النجدة، البكاء بغزارة من خالد، والمربية تبكي، وبعض محبي ميرفت، وقال بصوت ضعيف: لقد حاولت إنقاذها ولكن الوقت قد مر، سيدي أمامك قضية مكتملة الأركان، القاتل معروف.

هـؤلاء المجرمـون، أطلـب أشـد العقـاب علـيهم بالإعـدام، على كـل مـن اشـترك في هـذه الجريمـة، لكي تبرد نـار ميرفـت مكانهـا، الجميع شهد على علاء ليأخذ جزاءه.

وجاء حكم القاضي قائلا:

بعـد الاطـلاع علـى أوراق القضـية والشـهود تبـين مـن تقريـر الطـب الشـرعي أن ميرفـت شـاكر الضـحية، كانـت بكـرًا عـذراء وغشاء البكارة لديها من النوع المطاط كان سليمًا حتى موتها.

ثانيًـا بعـد تشـريح الجثمـان تبـين أن المجني عليهـا قتلـت بوضـع السم لها في المأكل والمشرب.

لقـد صـرخ عـلاء: أختي شـريفة، سـيدي القاضـي أنـا مـن قتلهـا لقـد انتزعـت الرحمـة مـن قلبي، البكـاء، العويـل ولطـم الخـدود، ولكـن مـا الفائـدة أيهـا الشـيطان؟ لقـد ماتـت ميرفـت دون ذنـب، وأخيـرًا اعتـرف الأخ الظـالم، ولكـن اعتـرف بعـد أن علـم أنهـا ماتـت شـريفة ولـم يمسسـها أحـد كمـا تصـور، هـذا همـه أن تكون أخته بريئة من هذه الخطيئة التي ألصقت بها ظلمًا.

لقـد ظهـر على وجهـه ملامـح النـدم والحسـرة، إنـه يشـعر بـدوار في رأسـه كمـا أن حلقـه الجـاف بظمـأ شـديد لا يطـاق كـان يعذبه.

_ القاضي: لا تتحدث واصمت، حكمت المحكمة على السيدة فاطمة السيد الداية بالسجن عشر سنوات.

وبراءة حمدان لعدم اشتراكه في مقتل ميرفت، وبإحالة أوراق علاء شاكر إلى فضيلة المفتي، رفعت الجلسة.

علاء في حالة جنون يصرخ ويلطم خديه: أختي شريفة يا ناس، أنا ظلمتها، أعدموني، أنا من قتلها.

خالد ينظر إلى مربية ميرفت التي تبكي بحرقة، ويمسك يدها ويقبل رأسها ويقول: الحمد لله لقد ظهرت براءة ميرفت، وهى تريد أن تقبل يده فهو السبب، تريد أن تصرخ وتعلن أن محبوبته ماتت وهي تحبك وتعشقك وتشهد بذلك.

وذهب خالد إلى القبر يضع الورود على قبر ميرفت ويقرأ آيات من القرآن الكريم، ودموع عينيه تسيل بحرقة وحسرة.

وجلس يحادثها كما كان من قبل، يريد أن تعلم، ظهرت براءتك وأخذت حقك يا قرة عيني، يا زهرة فوادي، لترقدي بسلام.

واعلمي أني لم ولن أنساكِ طيلة حياتي حتى نلتقي في الآخرة يا أجمل ما في حياتي.

تمت

شكر

"إلى أسرتي وأحبتي وأصدقائي..

إلى كل من عاونني في إخراج هذا العمل للنور..

لكم جميعا خالص الحب"

للتواصل مع الكاتب

Ramadan Saied

الإسكندرية ج . م . ع

(+٢) ٠١٠١٨٨٣١٣٦١

(+٢) ٠٣/ ٥٧٦٥٧٧٧

حسناء للنشر والتوزيع